جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية
قسم العلوم الاجتماعية



مذكرة ماستر

العلوم الإنسانية والاجتماعية
فلسفة
فلسفة عامة
رقم:....

من إعداد الطالبة:

عباس يسرى

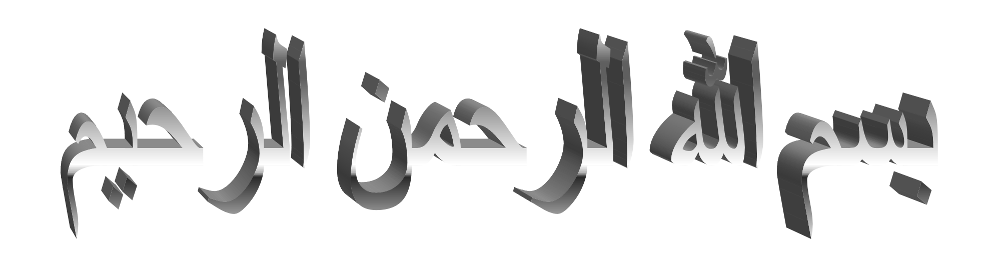
رقم: 2020/09/15

مفهوم الليبرالية عند جون ستيوارت ميل

لجنة المناقشة:

كشكار فتح الله	**أ.مح.ب**	**جامعة محمد خيضر بسكرة**	**رئيـــــــسًا**
حمدي لكحـل	**أ. مح.ب**	**جامعة محمد خيضر بسكرة**	**مشرفًا مقررًا**
زيـــان محمـد	**أ.مح.ب**	**جامعة محمد خيضر بسكرة**	**مناقـــــشا**

السنة الجامعية: 2020/2019



قال تعالى: " سبحانك لا علم لنا إلاّ ما علمتنا إنّك أنت العليم الحكيم " .

سورة البقرة /الآية 32.

قال تعالى: " يرفع الله الذين ءامنو والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير".

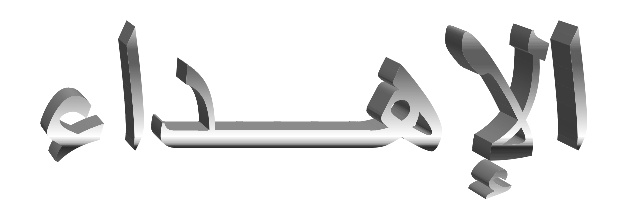
سورة المجادلة / الآية 11.



في البداية أشكر الله عزّ وجلّ أن هداني لهذا وما كنت لأهتدي لولا أن هداني، وعلى توفيقه لي في إنجاز هذا البحث.

وأتّقدّم بجزيل الشّكر وفائق الاحترام إلى أستاذي الدكتور "حمدي لكحل" على تفضّله بالإشراف على هذه المذكرة، وعلى دعمه وتوجيهه لي بنصائحه القيّمة والجّادة، وحرصه على إتمام هذا العمل، فلك منّي كل التقدير والاحترام أستاذي.

كما أتّقدم بالشّكر إلى أساتذة الفلسفة الذين تشرّفت بالدراسة عندهم طيلة المرحلة الجامعية ، كما لا يفوتني في هذا المقام أن أتّقدم بالشكر والامتنان إلى أعضاء لجنة المناقشة.



أهدي ثمرة جهدي هذه إلى والديا الكريمان ....برًا وإحسانًا.

وإلى إخوتي وأخواتي ....حبًا واحترامًا.

وإلى كل من يسعده نجاحي ....امتنانًا واعتزازًا.

كما لا أنسى أستاذي في التعليم الثانوي "مداس مسعود" رحمه الله وأسكنه فسيح جنّاته الذي كان مصدر تحفيز لي في مادة الفلسفة.

فهرس المحتويات

فهـــــرس المحتويـــــات:

فهـــــرس المحتويـــــات:

قائمة الاختصارات

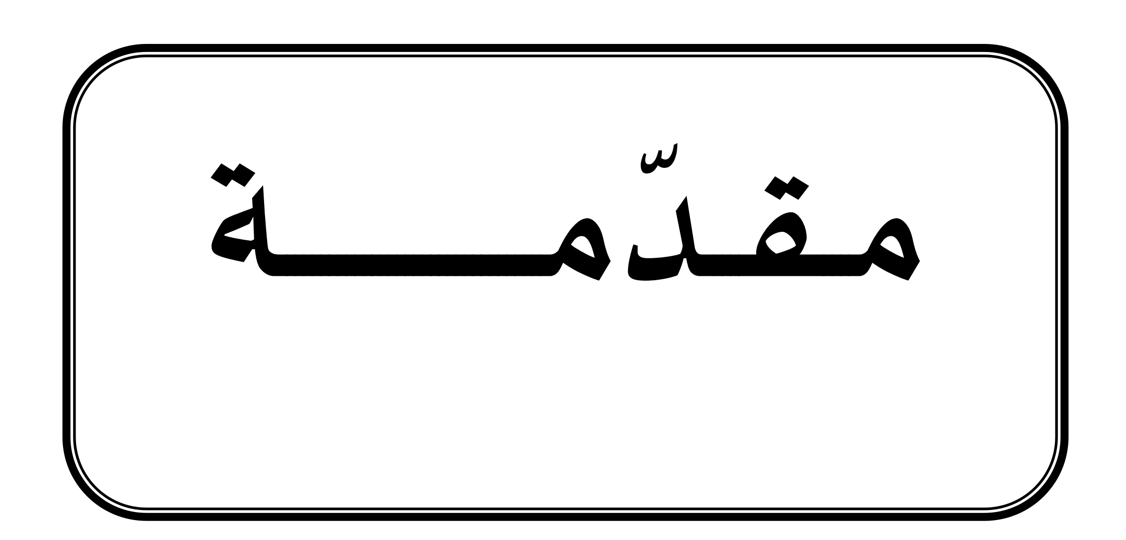
قائمـــــة الاختصـــارات

1.باللغة العربية:

الاختصـــارات	المعنى
ط	طبعة
ع	عدد
ج	جزء
مج	مجلّد
تر	ترجمة
(د.ط)	دون طبعة
(د.ب)	دون بلد
(د.ت)	دون تاريخ

2.باللغة الأجنبية:

Abréviation	Sens
Ed	edité
Trad	tradiction
P	page
Op.cit.	opere citato



مقدّمة

مقـــــدمـــــــــة:

يعدّ مفهوم الليبرالية من أكثر المفاهيم الفلسفية التي حظيت باهتمام المفكرين والفلاسفة على امتداد تاريخ الفكر الفلسفي، وقد عرف هذا المفهوم صياغات ودلالات متعدّدة في الفلسفات الأخلاقية والسياسية والقانونية والاجتماعية عبر الصيرورة التاريخية، فكانت الليبرالية أهم إشكالية فلسفية ومطلب الشعوب، وكلّ عبّر عنها على طريقته الخاصة، فهي تعتبر واحدة من التيارات الأكثر نفوذًا في الفكر الفلسفي الغربي، إذْ تناصر الليبرالية الحريات الفردية والاجتماعية في الدائرة السياسية، كونها تعتبر فكرة إنسانية بالدرجة الأولى لما تحمله من معاني إنسانية لنصرة الإنسان الغربي ورفع المعاناة والقمع والغبن عنه من طرف أصحاب السلطة الدينية، التي تتضمن أفكارها التّمرّد الكلّي والمطلق إلى كل أشكال السلطة، وذلك لضمان الحرية المطلقة والاستقلال الذاتي للفرد.

فالفكر الليبرالي ناهض طوال التاريخ المعوقات والعقبات التي كانت توضع أمام الحريات الفردية، من قبيل نفي الفردية وحرمان الأفراد من إبداء الرأي، فمن وجهة نظر الليبرالية خُلق البشر متساوين، حيث أودعت جملة من الحقوق الخاصة في وجودهم نفسه، كحق الحياة وحق الحرية وحق اختيار نمط العيش.

ولهذا ذهب كثير من الباحثين إلى عدم وجود تعريف واضح لليبرالية، بسبب غموضها في المعنى العام والخاص، وذلك ناتج عن التأويلات والتفسيرات والشروحات التي تُطلق على تصوّراتها والأفكار التي تحتويها من خلال نشوء حركاتها في الغرب، ولعلّ من أبرز مؤسسيها الفيلسوف "**جون ستيوارت ميل**"، حيث يعتبر هذا الأخير من أكثر الفلاسفة غموضًا وإنتاجًا، وقد أرادت الباحثة من خلال الدراسة الموسومة بعنوان "**مفهوم الليبرالية عند جون ستيوارت ميل**"، أن تكشف عن الكثير من الحقائق ذات العلاقة بفلسفة "**ميل**" خاصة ما تعلّق بالليبرالية، إذْ تميّزت فلسفته بالانتشار الواسع بين أوساط عصره وما بعده، فلم يترك صغيرة ولا كبيرة إلاّ وتطرّق لها في ليبراليته، وهذه الأخيرة تمحورت في فلسفته كلّها والتي تضمّنت الجانب الاقتصادي والسياسي والأخلاقي بما في ذلك الاجتماعي.

إشكالية الدراسة:

يتعرّض هذا البحث إلى "**مفهوم الليبرالية عند جون ستيوارت ميل**"، بحيث تمّت صياغة إشكالية لهذا الموضوع تحوي كل حيثيات البحث وتلمّ بكل تفاصيله، وقد صيغت كالآتي:

ما هي الأسس التي إنبنت عليها ليبرالية جون ستيوارت ميل؟ ؟ وما هي تجلّياتها ومدى تأثيرها في الفكر العربي والغربي؟

أسئلة الدراسة:

وتتفرّع عن هذه الإشكالية عدة تساؤلات هي:

- ماهي المصادر الفكرية التي أثّرث في فكر ميل؟
- وما هي أبرز مضامين فلسفته؟
- وفيما تتمثّل أسس الليبرالية التي اعتمدها ميل كمرتكزات ميّزت فكره؟
- وما موقفه من هذه الليبرالية؟
- وماهي المآثر والمآخذ التي تُلاحظ علي ليبراليته؟
- وأين يظهر تأثيره على معاصريه الغرب والعرب؟

خطة البحث:

للإلمام بموضوع الدراسة والإجابة عن الإشكالية المطروحة، اعتمدت الباحثة على **خطة** تكوّنت من ثلاثة فصول رئيسية:

الفصل الأول بعنوان **قراءة في فكر جون ستيوارت ميل**، الذي تضمن ثلاثة مباحث، تمثّلت في المصادر الفكرية **لميل** أي بمن تأثّر، وإعطاء لمحة تاريخية عن حياته وسيرته العلمية ومؤلفاته ووفاته، والوقوف عند أهم مضامين فلسفته.

أمّا الفصل الثاني، فقد عُنون **بأسس الليبرالية عند ميل**، والذي اندرج تحته ثلاثة مباحث ارتكزت على تاريخية الليبرالية ومفهومها من أجل إيضاح الغموض واللبس الذي يكتنفها، إضافة إلى أسسها، والوقوف عند أهم مرتكزات ليبرالية **ميل** في الجانب الاقتصادي والسياسي والأخلاقي والاجتماعي.

في حين أنّ **<u>الفصل الثالث</u>**، اندرج تحت **عنوان تقييم عام للنظرية الليبرالية لدى ميل**، والذي انقسم بدوره إلى ثلاثة مباحث، تمثّلت في مآثر ومآخذ ليبرالية **ميل** إضافة إلى مكانته عند بعض الفلاسفة الغربيين والعرب.

<u>مناهج الدراسة:</u>

من أجل الوصول إلى الهدف المنشود، ونظرًا لطبيعة الموضوع وما تقتضيه الإجابة عن الإشكالية والتساؤلات الفرعية، اعتمدت الباحثة على: **المنهج التاريخي التحليلي.**

المنهج التاريخي: أُعتمد نظرًا للتنوع الفكري زمانًا ومكانًا الذي كان عاملاً مهمًا في تطور فكر "**جون ستيوارت ميل**" من خلال العودة إلى الماضي ورؤية وجهات نظر الفلاسفة السابقون عليه حول فكرة المنفعة التي بُنيت عليها الليبرالية، إضافة إلى الرجوع لتاريخية هذة الأخيرة.

أمّا بالنسبة **للتحليلي:** فقد تمّ تحليل بعض أفكار "**ميل**" وتوظيفها في الجانب السياسي والاقتصادي والأخلاقي.

<u>دوافع اختيار الموضوع:</u>

لقد كان الدافع في الاختيار لهذا الموضوع دون غيره هو أهمية الليبرالية التي أثارت الكثير من الجدل، نظرًا لسطوة الآراء واختلافها، فقد مثّلت الفلسفة الليبرالية مساحة ظلّ، لذا أبتْ الباحثة أن تسلّط عليها الضوء، وكان النموذج الذي ارتأته متمثّل في الفيلسوف "**جون ستيوارت ميل**" كونه عالج ودرس مشكلة الليبرالية من كل أبعادها السياسية والاقتصادية والأخلاقية إضافة إلى الاجتماعية.

ومن بين **الدوافع الذاتية:** أنّ لدى الباحثة نابعة من الميل وحبّ الإطّلاع والإهتمام بالقضايا السياسية خاصة التي تخصّ الإنسان، بحكم أنّ هذا الأخير (الإنسان) يعتبر الركيزة الأساسية والعنصر الفعّال في أي مجال سواء على الصعيد السياسي أو الإجتماعي أو الإقتصادي.

أمّا عن **الدوافع الموضوعية:** فيعود دافع الاختيار إلى كون الدراسة تعالج موضوعًا حيويًا من العلوم السياسية، يتمثّل في تحديد دراسة الفكر الليبرالي بالنسبة لـ"**ميل**"،

وكذا تحليل ومعالجة أفكاره من خلال رصد وإبراز الأسس الليبرالية التي تشكّل محورها.

المراجع:

من بين أهم المصادر التي اعتمدت عليها الباحثة في دراسة هذا الموضوع؛

- كتاب جون ستيوارت ميل: **أسس الليبرالية السياسية**، الذي كان ملمًّا بكل الجوانب الإقتصادية والأخلاقية والإجتماعية خاصة السياسية لليبرالية "**ميل**"، التي لعبت دورًا هامًا في القرن التاسع عشر.
- كتاب **الحرية** لـ"**ميل**"، حيث حمل في طياته العديد من الأفكار المفصّلة لليبرالية، والذي كان محور فعّال للفكر الليبرالي لدى "**ميل**".
- كتاب **النفعية**، الذي تناول فيه "**ميل**" مبدأ المنفعة باعتبارها معيار لتحديد القيمة الأخلاقية لأفعال البشر، موضّحًا صلة المنفعة بالعدالة ومبيّنًا أنّ المنفعة هي المبدأ الأساسي في بناء الحرية وتقدّم المجتمع.

ومن بين أبرز المراجع اعتمدت الباحثة على:

- وندي دونر، ريتشارد فمرتون: **جون ستيوارت ميل**، الذي احتوى جميع أفكار "**ميل**" الفلسفية.
- فريدريك كوبلستون: **تاريخ الفلسفة (مج 8، من بنتام إلى راسل)**، تضمّن هذا الكتاب فصلين كاملين بخصوص فلسفة "**ميل**" التي تمت الاستعانة بهما خاصة في الجانب الأخلاقي والسياسي.

أهداف الدراسة:

تسعى الدراسة وبناءً على تساؤلاتها ومنهجيتها إلى:

- ✓ تغطية جانب نظري واسع من فكر جون ستيوارت ميل.
- ✓ تمكين الباحثين المهتمين بمجال الليبرالية من الإطلاع والاستفادة.
- ✓ الرغبة في التعرّف على أصول فلسفة ميل.
- ✓ إبراز دور الليبرالية السياسة والاقتصادية في تحقيق حرية الفرد.

الصعوبات والمعيقات:

إنّ من بين الصعوبات التي واجهت الباحثة خلال هذا البحث هي أنّ:

- ✓ نظرية الليبرالية منذ صدورها حتّى يومنا هذا مازالت محط اهتمام الباحثين والمفكّرين واختلاف وجهات النظر بين المؤيدين والناقدين.
- ✓ ومهما حاولتْ الإلمام بالموضوع تبقى مسائل أخرى لا تقلّ أهمية جديرة بالإهتمام حتّى يومنا هذا.
- ✓ مازالت التطورات والتفاعلات مستمرّة ممّا يصعب التنبّؤ بمسار النظرية الليبرالية أو الحكم عليها.
- ✓ تغيّرات وجهة نظر "**ميل**" وآراؤه منذ ظهور نظريّته، ممّا يصعب على الباحثة تحديد الأفكار الحقيقية بسبب التناقضات.
- ✓ وجود صعوبة بعض الشيء في التعامل مع المؤلفات الأساسية **لميل** التي تتناول موضوعات الدراسة.

الفصل الأول: قراءة في فكر جون ستيوارت ميل

المبحث الأول: المصادر الفكرية لميل.

المطلب الأول: الفلسفة اليونانية.

المطلب الثاني: الفلسفة الغربية.

المبحث الثاني: حيــاته وسيرتــه.

المطلب الأول: مولدة ونشأته.

المطلب الثاني: سيرته العلمية مؤلفاته ووفاته.

المبحث الثالث: مضامين فلسفة ميل.

المطلب الأول: المنطق.

المطلب الثاني: نظرية المعرفة

تمـهيـــــــد:

يعتبر الفيلسوف "**جون ستيوارت ميل**" أحد أبرز فلاسفة القرن التاسع عشر، حيث تميّز بفكره الأصيل وبتأثيره وتأثّره بالمدارس الفلسفية خاصة التجريبية، ولعلّ الدّارس والمتصفّح لفلسفة "**ميل**" يجد نفسه أمام موسوعة، نظرًا لتشعّب ثقافته وتعدّد مناهله وأفكاره التي نمت منذ نعومة أظافره والتي استقاها من فلاسفة اليونان القدامى.

وبما أنّ مسار تاريخ الفلسفة متقدّم أي يؤثر فيه السّابق وما يأتي بعده، وأنّ الصّبغة اليونانية ظهرت بارزة في فلسفات أعقبتها، فإنّنا سنحاول الوقوف في هذا الفصل عند أهم وأبرز الفلاسفة الذين تأثّر بهم "**ميل**" في الفلسفة اليونانية والفلسفة الغربية، في إطار المذهب النفعي، وذلك كي يتسنّى لنا الولوج في فكره والقدرة على إستيعاب أفكاره ولو بالقدر البسيط، كما سنتطرّق إلى التّعريف بشخصيته وتناول أهم ملامح فلسفته المتمثّلة في سيرته العلمية وأعماله التي اشتهر بها.

المبحث الأول: المصادر الفكرية لميل

إنّ المتتبّع لنشأة المذهب النفعي يجد أنّ جذوره متغلغلة في الفلسفة اليونانية، بحيث يرجع ذلك إلى السفسطائيين والأبيقوريين، وهذا المذهب هو نظرية أخلاقية غربية تُربط بها صحة السلوك والنتائج، وقد تطوّرت هذه النظرية إلى العصر الحديث على يد "**جريمي بنتام**" و"**جيمس ميل**" وهو والد الفيلسوف "**جون ستيوارت ميل**"، وهذا الأخير هو موضوع البحث، بحيث سيتم التطرق إلى المصادر الفكرية **لميل** وهي كالآتي:

المطلب الأول: الفلسفة اليونانية

يعتبر المذهب النفعي هو أحد المذاهب الشهيرة في الأخلاق، ويهدف إلى تحقيق أكبر قدر من السّعادة لأكبر قدر من الناس، أي أنّ غاية المنفعة هي توفير قدر كبير من السّعادة التي تحقّق الخير لعدد كبير من الأفراد.

وهذا المذهب نشأ بداية مع **السفسطائيين**، فقد وُصف هؤلاء بأنّهم كانوا يعلّمون الفضيلة ولكن يجب أن نشير إلى أنّ كلمة فضيلة في ذلك الحين لم يقصد بها المعنى الأخلاقي الذي تدل عليه الآن، بل عبّر بها اليونان عن مقدرة الشخص على أداء وظيفته في الدولة بكفاية ونجاح[1]، وهكذا فإنّ وظيفة رجل الآلة أن يفهم الآلة وفضيلة الطبيب هي العناية بالمرضى، وفضيلة مدرّب الخيول هي القدرة على تمرينها، ولقد أخذ السوفسطائيون على عاتقهم أن يدرّبوا الناس على الفضيلة بهذا المعنى لجعلهم مواطنين ناجحين وأعضاء ناجحين في الدولة[2].

فمن خلال هذا نجد أنّ الفضيلة عند السفسطائيين تعني آداء الوظيفة على أكمل وجه وبنجاح تام، وأنّ الدوافع الفطرية بالنسبة لهم هي أصل القوانين الأخلاقية ومصدر الأفعال البشرية، ويرون كذلك أنّ الشيء أو أي شيء يكون خيرًا حين

---

[1] أحمد أمين، زكي نجيب محمود: **قصة الفلسفة اليونانية**، مطبعة دار الكتب المصرية، ط2، القاهرة، 1935، ص95.

[2] ولتر ستيس: **تاريخ الفلسفة اليونانية**، تر: مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة للنشر والتوزيع، (د.ط)، القاهرة، 1984، ص100.

يصبح موضوع إرادة الإنسان ورغبته، وبهذا فالتعاليم الأخلاقية عند السفسطائيين متأسّسة على المعرفة التي أقيمت على تدمير المعايير الموضوعية.

وهنا نجد أنّ "**جون ستيوارت ميل**" يطرح المشكلة الأخلاقية كمشكلة فلسفية قديمة، ثمّ يبحث عن جذورها ليؤكد بأنّ أبا النفعية هو **سقراط** عينه حين جادل **السفسطائيين** وخاصة **بروتاغوراس** (480-410 ق.م)، الذي كان يؤكد بأنّ الإنسان مقياس كل شيء[1].

وفي هذا نادى السفسطائيون في مجال الأخلاق إلى أنّها اعتبارات شخصية مثلها مثل الفلسفة، وأنّ الخير هو ما نريده والشّر هو ما نبغضه، فتكون بهذا الأخلاق نسبية من وجهة نظر كل الأفراد، كما أنّها تتغير من جيل لآخر، واعتقدوا أنّ الإنسان مقياس الأشياء كلّها، وأنّ الحق والباطل والخير والشر أمور نسبية تتعلّق بأهداف الأفراد وظروفهم الشخصية.

تأثّر "**ميل**" خاصة في نظريّته عن القانون وإقراره بتطبيق القانون الوضعي، وكان السفسطائيون هم السّباقون إلى ذلك، حتّى أنّهم وضعوا تمييزًا بين القانون الوضعي والطبيعي، وذهب بعضهم إلى أنّ القانون الطبيعي هو الأفضل ويجب تطبيقه لأنّه ليس فيه خطأ وسيحرمه النّاس وذهب الآخرين خلاف ذلك[2].

أي أنّه يمكن القول أنّ السفسطائيين هم أوّل من فرّقوا بين القانون الوضعي والقانون الطبيعي، أي إلى أيّهما يرجع أصل نشأة القانون، لذا قد انحاز بعضهم **كأنطيفون** و**هيبياس** و**ثراسيماخوس** إلى أنّ القانون الطبيعي أو الإلهي هو الأصل، فيما رأى البعض الآخر مثل **بروتاغوراس** إلى أنّ القانون الوضعي ليس مستمد من الآلهة أو الطبيعة بل شرع من قبل أناس أحرار قاموا على تنظيم المجتمعات وتطبيق قانون يقرّ بالمساواة على الجميع، وعلى احترام حقوق الآخرين.

---

[1] جورج زيناتي: **رحلات داخل الفلسفة الغربية**، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1993، ص45.

[2] ديفيد ج. كوج: **السفسطائية وأثرها على ما بعد الحداثة**، حروف منثورة للنشر الإلكتروني، (د.ط)، 2014، ص57.

اعتقد السوفسطائيون أنّ الضعف لا يعود إلى طبيعة المرأة وإنّما للعادات والتقاليد، و"**ميل**" تأثّر بهم في هذه النقطة، حيث حارب الآراء الكلاسيكية التي ترى الضعف في المرأة، وهو جزء من طبيعتها وأنّ وظيفتها تكمن في المنزل للإنجاب وتربية الأولاد، وقد دافع "**ميل**" عن حقوق النساء وتحريرها، فاعتقد أنّ مشكلة النساء ليس في طبيعتها وإنّما في العادات والتقاليد التي جعلتها في تلك الحالة الدنيا، فهي ليست أضعف عقلاً أو أقلّ قدرة من الرجل، وليس هناك ما يسمى طبيعة الأنثى أو طبيعة الذكر، بل هي حالة مصطنعة، فالمرأة تعرّضت لعبودية الرجل بسبب الأعراف والقوانين التي جعلت وظيفتها الزواج وتربية الأطفال[1]، في حين أنّ من حقّها ممارسة العمل السياسي في الانتخاب والتصويت أو الترشيح، فهناك رجال في السياسة هم أقلّ كفاءة منها، لذا لها حقّ المشاركة البرلمانية، لذلك حاول "**ميل**" تصنيف مبادئ الليبرالية على النساء وأن يخلّصها من العبودية والتّبعية.

- **الأبيقورية:**

تعدّ "**الأبيقورية**" مذهب فلسفي ينسب إلى مؤسسها "**أبيقور**" (**Epicure**) (342-270 ق.م)، بحيث يقوم هذا المذهب على "إسعاد الذات بلذّة معنوية لا يعقبها ألم"[2]. فالأطروحة الأساسية في فلسفة **أبيقور** الأخلاقية تتمثّل في اللّذة هي الخير الأسمى، فهو جعل من اللّذة غاية للحياة.

وقد بدأت المعالم الأولى لمذهب المنفعة تتّضح على يد الفيلسوف اليوناني "**أبيقور**"، عندما أكّد على ضرورة اللذّات في حياة الإنسان الباحث عنها بدافع غريزي، هذا الدافع الغريزي يشكّل المنطلق في هذه الفلسفة لتؤمن بضرورة توفير المتع، واللذّات الكافية للحصول على الطمأنينة والسعادة التي تبلغها النفس لتتمكّن من التفكير الصحيح، يقول "**أبيقور**": "نحن نجعل من اللذّة مبدأ السعادة وغايتها: إنّه أول خير نعرفه، خير مغروز في طبيعتنا، وهو مبدأ كل قراراتنا وشهواتنا وكراهيتنا، وإليها

---

[1] جون ستيوارت ميل: **استعباد النساء**، تر: إمام عبد الفتاح إمام، مكتبة مدبولي، ط1، القاهرة، 1998، ص14.

[2] جميل صليبا : **المعجم الفلسفي**، الجزء الأول، دار الكتاب اللبناني، ط1، بيروت، 1982، ص34.

نسعى دون انقطاع"[1]، أي أنّه يجعل العاطفة في كل شيء هي القاعدة التي تستخدم في قياس الخير، ويقرّ بأنّ المعرفة الوحيدة التي تهمّنا هي معرفة أسباب اللذّة والألم من الحصول على الأولى (اللذّة) وتجنّب الثانية (الألم).

جاء "**ميل**" متأثّرًا بالفلسفة الأبيقورية في كتابه "النفعية"، حيث بدأ ببيان حقيقة وتعريف المنفعة، ويقصد بهذه الأخيرة تبعًا **لأبيقور** تحقيق أكبر قدر من اللذّة والابتعاد عن الألم، فيقول: "إنّ الذين لهم معرفة بهذا الموضوع يدركون أنّ كل كاتب من عهد أبيقور إلى **بنتام** ممّن تبنّى نظرية المنفعة، لم يقصد منها شيئًا ما مقابلاً للّذة، بل قصد اللّذة عينها مع غياب الألم"[2]، فنجد هنا أنّ "**ميل**" يرجع مذهبه إلى اليونان وإلى **أبيقور** بصفة خاصة، ذلك أنّه من اطلع على تاريخية المذهب سيجد أنّ المذهب الذي تحوّل على يد **أبيقور** إلى مذهب في المنفعة لمّا رأى أنّ من اللّذات ما يجلب ألمًا فطالب باجتنابها، وبالتالي فاللذّة تساوي السعادة والخير سيكون حسب "**ميل**" متمثّلاً في ضمان أكبر قدر من السعادة لأكثر عدد ممكن من الناس، فالإنسان بطبعه يميل إلى اللذّة ويتجنّب الألم، ويبحث عن المنفعة ويبتعد عن المضرّة، وهذا يعني أنّ الأفعال التي تتولّد عنها اللذّة أو المنفعة تعتبر أفعال خيّرة، أمّا الأفعال التي يتولّد عنها الألم أو المضرّة فهي أفعال شريرة، والدليل على ذلك قوله: "الأفعال تكون خيّرة بقدر ما تتوق لتحقيق السعادة، وتكون سيّئة بقدر ما تتوق لإيجاد نقيض السعادة، ويقصد بالسعادة اللذّة وغياب الألم، ويقصد بالشقاء الألم والحرمان من اللذّة"[3].

ومن خلال هذا نجد أنّ اللّذة هي غاية الحياة السعيدة، ويتأسس تصوّر **أبيقور** للسّعادة على تصوّره للإنسان، فباعتبار أنّ الإنسان جسد ونفس، فإنّ سعادته تكمن في تحقيق الخير الملائم لطبيعة كليهما والخير الملائم لطبيعة الجسد هو اللّذة، أمّا

[1] عبد الرحمان بدوي: **الأخلاق النظرية**، وكالة المطبوعات، ط2، الكويت، 1975، ص243.

[2] جون ستيوارت ميل: **النفعية**، تر: سعاد شاهرلي حرار، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2012، ص ص35،36.

[3] المصدر نفسه، ص37.

الخير الملائم لطبيعة النفس فهي الطمأنينة وبالتّالي فإنّ الأخلاق الأبيقورية تهدف إلى أنّ مذهب المنفعة هو أسهل الطرق إلى الحكمة، وتدور حول غايتين أساسيتين هما اللّذة وحالة الطمأنينة، ويؤكد أن كل لذّة خير وكل ألم هو شر.

وفي هذا الصدد يقول **أبيقور:** " لا بد من إدراك أنّ رغباتنا تنقسم إلى رغبات طبيعية وأخرى لا طائل من تحتها، وأنّ الأولى بعضها ضروري وبعضها طبيعي فحسب، والرغبات الضرورية بعضها ضروري للسعادة، وبعضها لسكينة الجسم والبعض الآخر للحياة كلها"[1].

فمن خلال قول **أبيقور** يتّضح لنا أنّه قسّم اللّذات إلى ثلاثة مراتب تمثلت في:

اللّذات الطبيعية والضرورية التي لا اتساع من إشباعها كاللّذة في الأكل والشرب أي الحاجات الطبيعية للإنسان، واللّذات الطبيعية الغير ضرورية التي تطلب التّنوع في الإشباع كلذّة الأناقة في لباس معين، أو الرغبة في تناول نوع من الأطعمة المميّزة أو الزواج، واللّذات اللاطبيعية واللاضرورية مثل لذة المال والجاه والحروب وسائر أنواع التنافس، فهي رغبات باطلة وفارغة لأنّه ليس خيرًا في ذاته وليس مقصد الميول الطبيعية، ولهذا فالحكيم في نظر **أبيقور** هو من يدري أنّ أعلى درجات اللّذة يمكن بلوغه بإشباع اللّذات أو الرغبات الطبيعية لأنّها ضرورية، وبالتالي في وسع الإنسان أن يكون سعيدًا.

ويذهب عبد الرحمان بدوي إلى القول بأنّ **أبيقور** يقول:" إنّ مقياس الخير هو اللّذة ومفارقة الألم، وهذا شيء لا حاجة بنا إلى البرهنة، وعليه فالطبيعة في كل أنواع سلوكها تكشف عنه، وإذا كنا في حاجة إلى البرهنة، فكيف أن نشاهد سلوك الإنسان في كل أدوار حياته من ميلاده حتى الموت، فإننا سنجد قطعًا أنّه يرمي دائمًا إلى

---

[1] مصطفى النشار: **تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي المدارس الفلسفية اليونانية في العصر الهلينستي**، الدار المصرية اللبنانية، ط1، القاهرة، 2013، ص115، نقلا عن أبيقور: **رسالة إلى مينيسي**: فقرة 128، الترجمة العربية، ص205.

تحصيل اللّذة والإبتعاد عن الألم"[1]، أي أنّ المقياس الذي تقاس به خيرية الأفعال أو شرّيتها هو اللّذة والألم فأخضعوا كل شيء للمنفعة وجعلوها بذلك معيارًا، وخلاصة القول أن أخلاق **أبيقور** أو الأخلاق الأبيقورية هي لائحة من التوجيهات التي حاولت التوفيق بين اللّذة والطمأنينة وهذا ما أقرّه بعض الدارسين بالسمو الأخلاقي للتعاليم الأبيقورية.

المطلب الثاني: الفلسفة الغربية

- **بنتام جريمي (Bentham Jeremy):**(1748-1832)، يعتبر مؤسس مذهب المنفعة والذي اكتمل على يديه، وقد ذاع صيته خلال العصر الحديث فكان من أهم رواد المذهب النفعي، بحيث استقى من أسلافه خاصة هتشسون عبارة: " توفير أكبر قسط من السعادة لأكبر عدد من الناس"، وفي هذا تأثّر به "**جون ستيوارت ميل**"، فقد اتّفق هذا الأخير مع أستاذه **بنتام** في اعتناق مبدأ المنفعة كقاعدة لكل سلوك وأضفى على المذهب تعديلات مكّنته من بروز أثر بالغ في عصره.

وتبرير ذلك يقول وندي دونر:" سوف أفحص وأدافع عن نظرية "**ميل**" في القيمة عبر مقارنتها بمذهب اللّذة الكمّي الذي يأخذ به "**بنتام**" سلفه النفعي"[2]. ويقول كذلك "**ميل**" في كتابه سيرة ذاتية: "جرى تثقيفي السابق كلّه على منهج 'بنتامي'، بمعنى من المعاني، وقد تعلمت دائمًا أنّ معيار 'السعادة الكبرى' البنتامي هو ما ينبغي أن أطبقه، بل كنت أيضًا قد ألّفت المناقشة المجرّدة لهذا المنهج الذي شكّل قسمًا من حوار غير منشور في 'الحكومة'، كتبه أبي وفق النموذج الأفلاطوني، لكنّه عاد فانبثق أمام ناظري بقوة الجدّة كلّها مع الصفحات الأولى من كتاب **بنتام**، وكان ما أثّر فيّ أكثر تأثير آنذاك الفصل الأول الذي يطلق فيه **بنتام** حكمه على أنماط

---

[1] عبد الرحمان بدوي: **موسوعة الفلسفة**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ج1، ط1، الكويت، 1984، ص86.

[2] وندي دونر، رتشارد فمرتون: **جون ستيوارت ميل**، تر: نجيب الحصادي، المركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة، 2011، ص16.

التفكير في الأخلاق والتشريع، أنماط مستنتجة من عبارات 'قانون الطبيعة' و'المنطق السليم'، و'الحس الأخلاقي'، و'الاستقامة الطبيعية'"[1]،

ويذهب توفيق الطويل إلى أنّ **بنتام** ركّز اهتمامه في فقه القانون وعن طريقه انتهى إلى الاهتمام بالأخلاق والسياسة"[2]، فقد وضع **بنتام** عدة مؤلفات من أهمها كتاب بعنوان: "المدخل إلى مبادئ الأخلاق والتشريع" سنة 1789، الذي عالج فيه أهم موضوعات مذهبه متمثلة في: اللّذة وغاية الحياة الخلقية التي يطمح إليها الأفراد كافة أو المجتمع الإنساني، وعلم حساب اللّذات وصالح الفرد بالنسبة للمجموع والأساس الخلقي.

ويذهب زكريا ابراهيم إلى أنّ: "**بنتام** يربط خير الفرد بخير الجماعة، فيقول إنّ البحث عن لذة الآخرين هو خير وسيلة يمكن أن تعيّن الفرد نفسه على الوصول إلى أكبر قسط ممكن من اللّذة، ومعنى هذا أنّ المنفعة الشخصية عنده وثيقة الصلة بالمنفعة العامة، ما دام الفرد بالضرورة عاجزا عن الوصول إلى ما هو نافع له"[3]، أي أنّ **بنتام** بنى فلسفته على القاعدة النفعية التي تدعو إلى البحث عن أكبر قدر من السّعادة، وهذه القاعدة ترتبط ارتباطا وثيقًا بالإنسان، وكل ما يهدف إليه هذا الأخير هو السعادة، وهذا بالتحديد ما تأثّر به "**ميل**" الذي دعى لأكبر قدر من السعادة لأكبر عدد ممكن من الأفراد، حيث ربط مصلحة الفرد بمصلحة المجموع.

يرى **برتراند راسل** في كتابه حكمة الغرب أنّ: " القاعدة النفعية تدعو إلى البحث عن أكبر قدر من السعادة وهذه القاعدة مرتبطة بعلم النفس من حيث أنّ ما يسعى الناس إلى بلوغه هو في رأي **بنتام** تحصيل أكبر قدر من السعادة لأنفسهم، وكلمة السعادة مساوية في معناها هذا لكلمة اللّذة، فمهمة القانون هي التّأكد من أنّ أي شخص في سعيه إلى سعادته القصوى، لن يمسّ حق الآخرين في السعي إلى نفس الهدف،

---

[1] جون ستيوارت ميل: **سيرة ذاتية**، تر: الحارث النبهان، دار التنوير، ط1، بيروت، 2015، ص53.

[2] توفيق الطويل: **مذهب المنفعة العامة في فلسفة الأخلاق**، مكتبة النهضة المصرية، ط1، القاهرة، 1953، ص84.

[3] زكريا ابراهيم: **المشكلة الخلقية**، مكتبة مصر، (د.ط)، القاهرة، (د.ت)، ص149.

وعلى هذا النحو يتحقّق أكبر قدر من السعادة لأكبر عدد من الناس"[1]، وهنا يتبيّن أنّ مفهوم **بنتام** حول السعادة هي أنّه يجب تحصيل أكبر قدر من اللّذة، وتجنب أكبر قدر من الألم، والمنفعة عنده هي قابلية الفعل الخلقي لجلب المنفعة أو الخير أو اللّذة، وكلّها مفردات تدل على نفس المعنى، أو قابلية الأفعال الخلقية لجلب الألم أو الشّر أو الشّقاء، وهذه كذلك مفردات لمعنى واحد.

تقاس اللّذات في نظر **بنتام** إلى سبعة ظروف أو عوامل تمثلت في: الشدّة (**Intensity**)، المدّة أو الديمومة (**Duration**)، التيقّن (**Certainty**)، قرب المنال (**Propinquity**)، الخصوبة (**Fecundity**)، النقاء (**Purity**)، الامتداد (**Extent**)[2].

وفي هذا يوضّح بنتام أنّ غاية الإنسان أو الفرد جلب اللّذة لذا وجب مراعاة شدّتها ومدّتها وإمكانية حصولها، وكذا نقاوتها من الشّوائب وتعميمها أو شمولها لأكبر عدد من الأفراد، وهنا نجد تأثّر "**ميل**" بفكرة حساب اللذّة الكمّي **لبنتام**، حيث قام بتعديل على هذا المذهب بإضافته إلى حساب اللذّات بالكيف، كما أنّ تقدير اللذّات في نظر **بنتام** يرجع إلى من يستمتع ويتألّم، فجاء "**ميل**" وأرجع هذا التقدير إلى الحكيم الكفء، فقال: "أن يكون المرء إنسانًا شقيًّا أفضل من أن يكون خنزيرًا راضيًا، وأن يكون مثل سقراط ساخطًا خير من أن يكون أبله سعيدًا، وإذا كان الأبله والخنزير مختلفين في الرأي، فذلك لأنّهما لا يعرفان غير وجهٍ واحد من المسألة"[3]، ومعنى هذا **أنّ** "**ميل**" يوكل أمر الحكم على قيمة المنفعة للحكيم الأخلاقي الكفء، إذْ هو أقدر من غيره على الحكم.

---

[1] برتراند راسل: **حكمة الغرب(الجزء الثاني) الفلسفة الحديثة والمعاصرة**، تر: فؤاد زكريا، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، (د.ط)، الكويت، 1983، ص159.

[2] Bentham Jeremy, **An Introduction to The Principale of Morals and Legislation**, Batoche Books, Kitcener, 2000,p32.

[3] جون ستيوارت ميل: **أسس الليبرالية السياسية**، تر: إمام عبد الفتاح إمام، ميشيل متياس، مكتبة مدبولي، (د.ط)، القاهرة، 1996، ص47.

كما تأثّر "**ميل**" بقول **بنتام** حينما قال:" لقد وضعت الطبيعة البشرية تحت حكم اثنين من السادة هما: الألم والسرور، إنّهما يشيران إلى ما نحن عليه وما يجب أن نفعل وكذلك لتحديد ما سنفعله من ناحية معيار الصواب والخطأ"[1].

وعليه فإنّ أولى إسهامات "**ميل**" في الفكر السياسي قد تمركزت حول مراجعة **بنتام** لمذهب المنفعة بطريقة نقدية، حيث انشغل بالرؤى المنخفضة للحياة الإنسانية التي كانت المنفعة تنحاز لها، والإنسان حسب **بنتام** كائن معرّض لمتع وآلام، وسلوكه يتحدّد بأشكال مختلفة الميل لمصالحه من جهة، ولمشاعره من جهة أخرى، إيجابية كانت أم سلبية، وبدوره رأى "**ميل**" أنّ هذا التعريف قاصر عن التفريق بين حياة البشر وحياة الحيوان، لذلك حاول إدخال تمييزات نوعية بين المتع، حيث أنّ بعضها متع عليا بالمقارنة مع متع الجسد، لذلك يرى "**ميل**" أنّ السعادة لا تتحقّق فقط عبر حياة ذات متع جسدية ودون آلام، بل أيضًا بالوصول إلى مُتع عُليا، حتّى لو كلّفت آلامًا أو تنازلات عن مُتع أدنى.

حين اصطدم **بنتام** بمشكلة تعارض المنفعة الفردية مع المنفعة العامة، لم يطالب الأناني بالتخلّي عن أنانيته في سبيل المجموع، في حين أنّ "**ميل**" قد تأثّر بذلك لكنّه عكس الأمر، بحيث أكّد على إمكانية التّضحية من خلال إتيان المرء بأفعال لا تبعث على طلب المنفعة الشخصية، كالبطل أو الشهيد الذي يسعى بحق في زيادة مقدار السعادة أو المنفعة العامة، وفي هذا الصدد نجد أنّ "التّضحية في نظر "**ميل**" لا قيمة لها، إلاّ بمقدار ما تساهم في سعادة الآخرين، لأنّ من يُضحّي من أجل غاية أخرى غير سعادة الآخرين، لا يستحقّ إعجابنا أكثر من إعجابنا بذلك النّاسك القابع على رأس الجبل والذي لا يمكن أن يكون نموذجًا على الإنسانية أن تحتذيه"[2].

لقد أعرب "**ميل**" وهو في سن الخامسة عشر عن موافقته المتحمّسة لمذهب **بنتام** الأخلاقي، إذْ أُعجب حتّى وهو في تلك السن برفض **بنتام** التام لطرق التفكير الحدسية في الأخلاق، وكان **بنتام** قد أدخل المناهج العلمية في مناقشة المسائل

---

[1] Bentham Jeremy, **Op.cit**, p14.

[2] جون ستيوارت ميل: **أسس الليبرالية السياسية، مرجع سابق**، ص54.

الأخلاقية، وهو موقف لمْ يتخلّ عنه "**ميل**"، فحاول في أبحاثه المنطقية وخواطره الأخيرة عن العدالة والحرية، أن يبيّن أنّ المحك النهائي ينبغي أن يكون تجريبيًا ونفعيًا، ويتّفق "**ميل**" أيضًا مع **بنتام** في إعتقاده بأنّ سلوكنا كلّه حتمي، وأنّ أفعالنا المتبصّرة كلّها مدفوعة بالإعتقاد في أنّ خطأ بعينه من السوك سيفضي إلى أعظم خير لنا، وتعتمد قراراتنا على شخصياتنا ومعتقداتنا كما تتوقّف على مواقفنا[1].

- **جيمس ميل (James Mill):(1773-1836)**، هو فيلسوف اسكتلندي ومؤرخ وعالم اقتصاد بريطاني الأصل، وهو والد "**جون ستيوارت ميل**"، ويعتبر من أبرز ممثلي مذهب المنفعة، وعرف بعلميته الأساسية للفلسفة، كما تميّز بآراءه في علم الاقتصاد والسياسة، وقد كان **جيمس** من أشدّ المعجبين **ببنتام** وبفلسفته، وكان له كتاب ضخم في "تاريخ بريطانيا في الهند"، بحيث هذا الأخير مهّد له الطريق للحصول على وظيفة في شركة الهند الشرقية.

كما كان **لجيمس** عدة مؤلفات منها: كتابه 'تحليل ظاهرة العقل الإنساني' عام 1829، فقد حاول "أن يبيّن أنّ المعرفة كلّها يمكن أن ترجع إلى المشاعر'الإحساسات والأفكار، والملذات، والآلام' التي تحدث في ترتيبات بعينها، فبعضها متعاقب وبعضها الآخر متآن أي يحدث في آن واحد"[2]. وهنا يبيّن **جيمس** أنّ الإحساسات تحدث إمّا متزامنة أي في وقت واحد أو متواترة.

وكانت إسهامات **جيمس** الرئيسية للمذهب النفعي في مجال علم النفس، فقد حاول أن يفسر الظواهر الذهنية عن طريق التداعي وأن يردّ كل صور التداعي إلى صورة الاقتران[3]، وهذا ماجعل ابنه "**ميل**" يتأثّر به تأثّرًا بالغًا، فقد فسّر "**ميل**" كيفية التغلّب

---

[1] جوناثان ري، وج.أو.أرمسون: **الموسوعة الفلسفية المختصرة**، تر: فؤاد كامل وآخرون، المركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة، 2013، ص333.

[2] **مرجع نفسه**، ص341.

[3] وليم كلي رايت: **تاريخ الفلسفة الحديثة**، تر: محمود سيد أحمد، التنوير للطباعة، ط1، بيروت، 2010، ص415.

على اللّذة الأنانية وتحويلها إلى الغيرية أو الجماعية عن طريق تطبيق مبدأ تداعي المعاني الذي قال به والده **جيمس ميل**.

يقول **جون ستيوارت ميل:** "كان كتاب أبي' تاريخ الهند' من الكتب التي أسهمت كثيرا في تعليمي على أحسن وجه"[1].

غير أنّ **جيمس** في موضوع حقّ النساء في الاقتراع والتصويت في كتابه "مقال عن الحكومة" قد أهان الأفكار الفلسفية الثورية الأخرى، باقتراحه استعباد النساء من حقّ التصويت دون أن يترتّب على ذلك أيّة نتائج سيّئة، طالما أنّ مصالحهن مدرجة في مصالح رجال أسرهن، ولقد أدّى إلى مجالات عنيفة في حلقات المذهب النفعي، فهذه العبارة لا يمكن قبولها من ابنه "**ميل**" الذي رفضها وعارضها معارضة تامة مع أنصاره بما في ذلك **بنتام**، كون أنّ "**ميل**" اندهش من المبالغة في هذه العبارة في الهجوم النقدي "**لماكولي**" لكتاب "مقال عن الحكومة" أنّ مصالح النساء لمْ تعدْ بعد متّحدة مع مصالح أزواجهن أكثر من اتّحاد مصالح الرعايا مع ملوكهم، ولا بدّ أن تكون المناظرة كلّها قد استثارت اهتمام "**ميل**" بقضية المرأة ، بالإضافة إلى ذلك فإنّ جريدة "وستمنستر" الناطقة بلسان المذهب النفعي قد نصبت نفسها كنصير ومدافع مبكّر لقضية حقوق المرأة[2].

فأخلاق المنفعة تعدّ عند **بنتام** وليبرالية **جيمس ميل** المصادر الأساسية لأفكار "**جون ستيوارت ميل**"، فضلاً عن تأثّره ببعض الأفكار الاشتراكية، هذه المصادر لها فاعليتها القوية في أفكاره.

---

[1] جون ستيوارت ميل: **سيرة ذاتية، مصدر سابق**، ص23.

[2] سوزان موللر أوكين: **النساء في الفكر السياسي الغربي**، تر: إمام عبد الفتّاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، القاهرة، 2002، ص229.

المبحث الثاني: حياتـــــه وسيـرتـــــه.

عند دراسة فكر أي فيلسوف لابدّ من المرور على لمحة أو نبذة لحياة وسيرة الفيلسوف المراد تناوله خلال البحث، وهذا ما سيتمّ التطرّق إليه بالنسبة للفيلسوف "**ميل**" الذي تميّز بشخصيته الفريدة خلال عصره وما بعده.

المطلب الأول: مولــــده ونشأتـــــه

ولد **جون ستيوارت ميل (John Stuart Mill)**، في 20 ماي 1806 في لندن، وهو الابن الأكبر للمنظر الاجتماعي والاقتصادي النفعي **جيمس ميل**، وهذا الأخير هو فيلسوف ومؤرخ وصاحب إسهامات في الاقتصاد، وكان له الدور الأكبر في تنشئة ابنه "**ميل**".

يعدّ "**ميل**" من أهم الفلاسفة الذين برزوا في القرن 19، وهو فيلسوف اقتصادي بريطاني نفعي انجليزي ونسوي، تأثّر بالمعرفة وبالتحديد المدرسة الفرنسية ومابعدها، وقد "كان رفيع الخلق، جمّ الفضائل، مرهف المشاعر، ونشئ تنشئة خليقة، فأبوه **جيمس** أدرك منذ نعومة أظافر ولده تألّق قواه العقلية، فاستشعر المسؤولية إزاء تربيته وتثقيفه وإعداده للمهام الفكرية"[1]، وقد نشأ بين طوفان من عوالم المعرفة وذلك بتلقيه التعليم في المنزل من قبل والده، بمساعدة **بنتام** و**فرانسيس بليز Francis Place**، حيث بدأ اليونانية عندما كان في الثالثة من عمره واللاتينية عندما كان في الثامنة، والمنطق في الثانية عشر، والاقتصاد السياسي في الثالثة عشر، وبحلول عام 1813 عندما كان في السابعة من عمره، كان قد درس الحوارات الستة الأولى **لأفلاطون**[2]، كما تميّز بالذكاء والاستيعاب، وكان يمتلك ثقافة تأريخية واسعة، بدأ مشواره الفلسفي

---

[1] يمنى طريف الخولي: **فلسفة العلم في القرن العشرين(الأصول، الحصاد، الآفاق المستقبلية)**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، (د.ط)، القاهرة، 2014، ص135.

[2] Ian Adams and R.W.Dyson: **Fifty Major Political Thinkers**, 2^{nd} ed , London: Routledge Tylor and Francis-Libra, 2007, p135.

في سنّ مبكرة، وتوجّه بشغف إلى دراسة الفلسفة واهتم بالمنطق، فقرأ **أرسطو** وبالتحديد 'الأورغانون' واستعان كذلك بقراءة 'موجز في المنطق' للفيلسوف **هوبز**[1].

وبهذا لم ينشأ "**ميل**" كباقي الأطفال لأنّه كان في عزلة عنهم، أي أخذ في فترة الطفولة كثير من المعلومات ما كان يملكها أي طفل في مثل عمره، وكانت عليه الكثير من الضغوطات خلال تلك الفترة التي كان يقرأ فيها للفلاسفة الذين تأثّر بأفكارهم وذلك من خلال حرص أبيه عليه وما يطلبه منه، والذي كان يراجع أفكاره خلال نزهته معه.

قرأ "**ميل**" كتب **بنتام** و**كوندياك** و**لوك** و**هلفسيوس** و**هيوم** والأسكتلانديين، فجمع لأبيه كثيرا من المواد لكتابة "تحليل الفكر الإنساني" وانضم إلى فريق الشّبّاب الذّين كانوا يعملون على نشر أفكار **بنتام وجيمس ميل** الفلسفية والسياسية ومذهب **هارتلي** في تداعي المعاني[2]، كما اطّلع على أمهات الكتب في مجال الاقتصاد السياسي مثل: 'ثروة الأمم' لمؤلفه **آدم سميث** (1723–1790)، و'مبادئ الاقتصاد السياسي والضّرائب' **لديفيد ريكاردو**(1772–1823).

تعرّض "**ميل**" في سنّه العشرين إلى أزمة عقلية أصابته بكآبة شديدة، بسبب الضغوطات التي تعرّض لها خلال نشأته، وفي أحد الأيام حينما كان يقرأ قصة محزنة من ذكريات الكاتب الفرنسي 'مارمونتيه' الذي يكاد يكون منسيا الآن، شعر فجأة بحاجة للبكاء، وقد أخذ التّعافي شكل تمرّد بطيء، خفيّ، معارض، ولكنّه تمرّد بارز وغير قابل للمقاومة، ضدّ الرأي بشأن الحياة الذي غرسه في ذهنه كل من والده والبنتاميين[3].

---

[1] رحيم أبو رغيف الموسوي: **الدليل الفلسفي الشامل**، ج3، دار المحجة البيضاء، ط1، بيروت، 2015، ص446.

[2] يوسف كرم: **تاريخ الفلسفة الحديثة**، كلمات عربية للترجمة والنشر، (د.ط)، القاهرة، 2012، ص364.

[3] إيزايا برلين : **الحرية: خمس مقالات عن الحرية**، تر: يزن الحاج، دار التنوير للطباعة والنشر، ط1، القاهرة، 2015، ص262.

وفي فترة اكتئابه، فُقدت الفلسفة النفعية التي تشرّبها من والده و**بنتام**، والواقع أنّه لم يهجرها، غير أنّه وصل إلى نتيجتين هما: الأولى لا تتحقّق السعادة عن طريق البحث عنها مباشرة، إذ أنّ المرء يجدها عن طريق تعقّب هدف ما أو مثال ما غير سعادته الخاصة أو لذّته، والثانية يحتاج التفكير التحليلي إلى أن يكمّله تهذيب المشاعر، وهو جانب من الطبيعة البشرية لم يثق فيه **بنتام**[1]، وذلك يعني أن "**ميل**" شرع في إيجاد معنى ما في الشعر والفن، وهذا ما وجده في قراءته لشعر "ووردزورث" الذي جعله كذلك يتماثل للشفاء من أزمته.

وبهذا التعليم الصارم الذي نشأ عليه "**ميل**" وحرمانه من طفولته في اللّعب واللّهو، كان قد أنجز إنجازًا فريدًا من نوعه، وخلال هذه المسيرة الحياتية احتل مكانات بارزة في عصره.

<u>المطلب الثاني</u>: سيـــرتــه العلــميـــة ومؤلــفاتــــــه ووفـــــاته

إنّ كل فيلسوف خلال مراحل حياته يمرّ بمحطات فكرية تميّزه عن غيره، ويسعى في ذلك لبناء وتحصيل توجّهات فكرية ووظائف ومسؤوليات تبرز أثره، وهذا ما يخلّفه الفيلسوف أو المفكر أو العالم من أعمال تركها شاهدة عليه، ولهذا فإنّ أثره يكمن من خلال أعماله، فإذا كانت ذات قيمة وأثر ساهمت في تحريك الرأي العام وهزّت في طيّاتها الإصلاح والسّبل إلى ذلك، وهذا مانجده عند الفيلسوف "**ميل**" الذي كانت سيرته العلمية وكل أعماله ذات قيمة عالية حرّكت وجلبت الأنظار حولها، حيث من خلال مناصبه وأعماله جعلت العديد من الباحثين والأساتذة يصفونه بأنّـه أعظم فيلسوف في القرن التّاسع عشر، فمن بين الوظائف والمسؤوليات التي تقلّدها نجد أنّه:

في سنة 1823 عيّن موظّفا في شركة الهند الشرقية التي كان يعمل بها والده، واستمرّ "**ميل**" في هذه الشركة إلى أن ألغيت باستيلاء الحكومة البريطانية على شبه

---

[1] فريدريك كوبلستون: **<u>تاريخ الفلسفة (مج 8، من بنتام إلى راسل)</u>**، تر: محمود سيد أحمد، المركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة، 2009، ص ص54،55.

القارة الهندية سنة 1857، فبقي في هذه الشركة من سنة 1823 حتّى سنة 1858، وعُرض عليه إثر ذلك أن يكون عضوًا في مجلس الهند، الذي أنشئ آنذاك، لكنّه رفض ذلك، وكان قد وجد منصبه في شركة الهند الشرقية وهناك بالتحديد ما يكفل له أسباب العيش الكريم والتفرّغ لكتابة أعماله الفكرية[1].

وخلال وفاة أبوه **جيمس** وأستاذه **بنتام،** تولّى "**ميل**" قيادة المذهب النفعي وأصبح ممثّلا للفلاسفة الراديكاليين، ثمّ أُنتخب عام 1865 عضوًا في البرلمان كنائب عن دائرة "وستمنستر" في مجلس العموم البريطاني[2]، وكانت تلك فرصة بالنسبة له للإسهام في النقاشات السياسية والاقتصادية التي طبعت ذلك العصر.

وقد قيل في مصدره أنّ حياة "**ميل**" العامة، اقتصرت على منصبين، فقد خدم في شركة الهند الشرقية منذ أن بلغ السابع عشر من عمره إلى أن حلّت الشركة المذكورة بقرار برلماني بعد ذلك بمدة 35 عاما، وكان "**ميل**" عضوا في مجلس العموم من عام 1866 إلى عام 1868 عندما هزم في محاولته لإعادة انتخابه، وخلال الأعوام الثلاثة التي قضاها في مجلس العموم، ركّز اهتمامه وعنايته على ثلاثة إصلاحات هي:

1. تحسين أحوال الطبقات الكادحة.
2. حق المرأة في الانتخاب.
3. إصلاح الأراضي في إيرلندا[3].

وفي سنة 1823 أيضا صار "**ميل**" عضوًا في جمعية صغيرة تدعى "جمعية مذهب المنفعة"، وكانت تجتمع في بيت **بنتام** مؤسس هذا المذهب، كذلك كان كثيرا ما يلقي خطبًا في "جمعية المناظرات في لندن" London Debating Society، وكان على مراسلة مستمرة مع **توماس كارليل،** وكثيرا ما كان يكتب مقالات في "مجلة

---

[1] برتراند راسل: **حكمة الغرب، مصدر سابق،** ص161.

[2] جون ستيوارت ميل: **أسس الليبرالية السياسية، مصدر سابق،** ص13.

[3] جون ستيوارت ميل: **الحكومات البرلمانية،** تر: إميل الغوري، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، بيروت، 2017، ص ص22،21.

وستمنستر"، وفي سنة 1824 قُبض عليه لأنّه كان يوزّع منشورات بين فقراء لندن تدعو إلى تحديد النسل، لأنّه كان من المؤمنين المتحمّسين لنظرية "**مالتوس**" الذي أنذر بخطورة تزايد السكان في العالم[1].

وكان أيضا رئيس جامعة "سينت أندروز" في أسكتلندا من عام 1865 حتى عام 1867، وفضلاً عن كل ذلك قام بدور نشط في العديد من القضايا السياسية في عصره، بما فيها الحملات الرافضة والحملات المطالبة بحق النّساء في التصويت، وكان أول من اقترح في البرلمان مشروع قانون يمنح النّساء حقّ التّصويت[2].

التقى "**ميل**" بالسيّدة "**هاريت تايلور**" سنة 1830، وكانت زوجة لرجل ثريّ، فدخلت مع "**ميل**" في علاقة حب وطيدة إلى درجة أنّه تأثّر بها تأثّرًا بالغًا، وكانت امرأة ذات خلق سام وعقل متألّق، ناقش معها أفكاره وتزوّجها بعد وفاة زوجها بعامين، ويبدو أنّها كانت مستمعة جيّدة، ولا شكّ أنّها ألهمته بعض أفكاره الجيّدة، فكانت منشئة لمعظم أفكاره، وبينما كان يتجوّل هو وزوجته في فرنسا، ماتت زوجته من جراء مرض مفاجئ في "أفينيون" ودفنت هناك، وأقام "**ميل**" معظم ما تبقى من حياته في أفينيون لكي يكون قريبا من قبرها، ويشعر برفقتها الوطيدة[3]، بحيث ينسب إليها الفضل في كثير من مؤلفاته، وقد تركت فيه أثرًا كبيرًا وأوحت له بكل ما دخل في نزعته الليبرالية من نزعة اشتراكية.

كان **لـ**"**ميل**" العديد من المؤلفات أو الأعمال تمثّلت في:

- كتاب عن "المنطق" 1843.
- "مبادئ الاقتصاد السياسي" Principles of Political Economy 1848.
- "في الحرية" On Liberty 1859.
- "نظرية المنفعة" Utilitarianism 1861.
- "دراسات في الحكومة النيابية" 1861.

---

[1] عبد الرحمان بدوي: **موسوعة الفلسفة، مرجع سابق**، ص467.

[2] وندي دونر، رتشارد فمرتون : **مرجع سابق،** ص12.

[3] وليم كلي رايت: **مرجع سابق،** ص417.

- "دراسة لفلسفة وليام هاملتون" Examination of Hamilton's philosophy 1869.
- "استعباد النساء" The Subjection of women كتبت في 1861، ونشرت عام 1869.
- "سيرة ذاتية" Autobiography 1873.
- وثلاث مقالات نشرت بعد وفاته هي: "الطبيعة"، و" فائدة الدين" و"مذهب التأليه"[1].

فمن حيث هذه المؤلفات التي اشتهر بها نجد مثلا في مؤلفه:

كتاب سيرة ذاتية : يتناول المعلومات التاريخية التي ذكرها في العصر الذي عاش فيه، ومدى أهمية شخصية والده وآراءه والمصادر التي أثارت فكره وتأثّره بها.

كتاب النفعية: يدافع فيه عن مبدأ المنفعة في العمل ويعرض لتصحيح مذهب **بنتام** وتكميله[2].

كتاب عن الحرية: أهدى في صدر هذا الكتاب عبارات الشكر والامتنان لمحبوبته "**تايلور**" والعرفان بجميلها، ويوضّح فيه كذلك انتصار الفرد في سطوة المجتمع وطغيان الأغلبية، ودحض كل الآراء التي تبرّر تقييد المجتمع لحرية الفرد دون أي حق لمجرد الاعتقاد في صواب رأي الجماعة.

كتاب استعباد النساء: أبان فيه "**ميل**" أنّ المبدأ الذي ينظم العلاقات الاجتماعية القائمة بين الجنسين مبدأ خاطئ وأنّه يعوق تقدّم المجتمع ويحول دون تطوّره إلى الكمال، ومن ثمّ وجب أن يأخذ مكانه مبدأ جديدا يقوم على المساواة التامة بين الجنسين، وفي ضوء هذا ناضل "**ميل**" حتّى تستردّ المرأة حقوقها الاجتماعية والسياسية[3]، ويظل هذا الكتاب هو الصياغة الكلاسيكية للفلسفة النسوية الليبرالية.

[1] جون ستيوارت ميل: **أسس البيرالية السياسية، مصدر سابق**، ص ص13،14.

[2] يوسف كرم: **تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سابق**، ص364.

[3] توفيق الطويل: **جون ستيوارت ميل**، دار المعارف، (د.ط)، مصر، 1998، ص22.

كتاب مبادئ الاقتصاد السياسي: عرض فيه مبادئ الاقتصاد السياسي وتطبيقاته على أهم القضايا السياسية والاجتماعية التي كانت سائدة آنذاك ودافع عن الاشتراكية، ورأى أن توزيع الملكية ينبغي أخذها بعين الاعتبار للتّطور التاريخي لكل مجتمع، وأن تخضع لمصلحة هذا المجتمع.

وهكذا عاش "**ميل**" في جوّ حافل بالنّشاط، إلاّ أنّ استغراقه في العمل هدّ بنيته وأتلف صحّته وإن كان الضعف الذي اعتراه لم يعقه عن مواصلة نشاطه، حتّى وافته المنيّة في **08 ماي 1873**، حيث دفن قرب زوجته في أفنيون.

هذه بعض أهم أعمال "**ميل**" ، التي أثارت جدلاً كبيرًا في العالم نظرًا للأهمية التي تحملها وكذلك للمواضيع الحسّاسة التي تطرّق لها، والتي جلبت اهتمام الباحثين والمفكرين في كلّ بقاع العالم.

المبحث الثالث: مضـــــاميـــن فلسفـــــــة ميل.

المطلب الأول: المنطـــق

إنّ بحث "**ميل**" الفلسفي الأكثر نسقية هو منطقه، فقد رأى أنّ الإصلاحات السياسية والإجتماعية لكي تكون فعالة ينبغي أن نتصوّرها في ضوء المعرفة العلمية، ولا يمكن تحصيل تلك المعرفة إلاّ عن طريق مناهج البحث الصحيحة، وذلك بفحص كلّ مناهج العلوم الطبيعية التي يكون فيها التفكير أكثر دقّة، ويكون التّقدم فيها أكثر سرعة لكي يحدد كيفية تطبيقها في ميادين العلوم الإجتماعية، أي الأخلاق، والاقتصاد، والسياسة، والتاريخ، والاجتماع[1].

وهنا يتبيّن أنّ "**ميل**" كان في فلسفته مدينًا لغيره بكلّ شيء تقريبًا، وكان الكتاب الذي أذاع صيته أكثر من أي شيء آخر هو كتابه "نسق في المنطق"، والشيء الجديد في هذا الأخير بالنسبة لعصره هو معالجته للاستقراء الذي يقوم في رأيه على مجموعة من القواعد تُذكّرنا إلى حدّ بعيد بقواعد الارتباط السّببي عند **هيوم،** لأنّ "**ميل**" تابع تراث هذا الأخير إضافة إلى **فرانسيس بيكون** و**لوك** و**هارتلي**.

---

[1] وليم كلي رايت: **مرجع سابق**، ص418.

ويذهب فريدريك كوبلستون إلى أنّ: "**ميل**" فيلسوف تجريبي بدون شك، فقد سلّم بالحدس بوصفه مصدرا للمعرفة، كما أنّ الحقائق التي نعرفها عن طريق الحدس هي بالفعل المقدّمة الأصلية التي نستدلّ منها كلّ الحقائق الأخرى، ويعني "**ميل**" بالحدس الوعي ، أي الوعي المباشر بإحساساتنا ومشاعرنا[1]،

يرفض "**ميل**" المنطق الصوري الأرسطي بجملته، وليس فقط قياساته العميقة، قائلا: "إنّه منطق للاتّساق وإقامة البرهان، لذلك فهو استدلال ظاهري لا يتضمن أيّة إضافة، أمّا بالنسبة للإنسان فإنّه بحاجة إلى منطق يتعقّب الحقيقة ويأتيه بمعرفة جديدة لن تكون إلاّ بالاستقراء"[2].

إنّ العلم الذي يبحث في الاستدلال أو البرهان هو المنطق، ولما كان أي استدلال يُرّد إلى الإستقراء إذن فالإستدلال الإستقرائي هو كل المنطق فالإستدلال والإستدلال الإستقرائي والبرهان كلمات مترادفة بالنسبة **لـ"ميل**"[3].

أي أنّ الاستدلال التجريبي هو الاستدلال الحقيقي الوحيد، **فـ"ميل**" يجزم أنّ الاستقراء هو منطق العلم ومنطق العمل والتفكير والحياة والسبيل المعرفي الفريد المُجني الذي يمتلكه الإنسان.

إنّ الخطوات الاستقرائية التي يريدنا "**ميل**" أن نتّبعها للانتقال ممّا هو معلوم إلى ما هو مجهول خطوات ثلاثة رئيسية وهي مرحلة الملاحظة والتجربة ثمّ مرحلة تكوين الفرض وأخيرا مرحلة تحقيق ذلك الفرض تحقيقًا تجريبيًا، فإن أيّدته الوقائع التجريبية في الحاضر والمستقبل القريب كان الفرض ناجحًا أو صادقًا واتّخذ صورة القانون العام، وهذا الأخير يفترض أساسين هامين هما: مبدأ إطراد الحوادث في الطبيعة **Uniformity of Nature** ومبدأ العلية **Causality** [4].

---

[1] فريدريك كوبلستون: **تاريخ الفلسفة (مج8، من بنتام إلى راسل)، مرجع سابق**، ص88.

[2] Alan Ryan: **J.S.Mill**, Routledge and Kegan Panl, London, 1974, p.71.

[3] محمود فهمي زيدان: **الإستقراء والمنهج العلمي**، دار الجامعات المصرية، (د.ط)، الإسكندرية، 1977، ص74.

[4] **نفسه**، ص74.

وفي هذا الإطار وضع "**ميل**" أضخم وأهم كتبه "نسق المنطق 1843" محاولاً تحقيق حُلمه بأن يكون نبيّ الاستقراء مثلما كان **أرسطو** نبيّ القياس، وكما وضع **أرسطو** للقياس أشكالاً وضروبًا، وضع "**ميل**" للاستقراء خطوات ومناهج رآها جامعة مانعة لأساليب البحث التجريبي والعلمي ولطرق التفكير التي تمثلت في:

1. **منهج الاتّفاق Method of Agreement**: وينصّ على أنّه إذا اشتركت حالتان أو أكثر من حالات الظاهرة موضوع الدرس، في أمر واحد، فأنّ هذا الرأي تتّفق فيه وحدة جميع الحالات هو علّة الظاهرة .

2. **منهج الاختلاف Method of Diffrence**: وينصّ على أنّه إذا كانت هناك حالتان تبدو الظاهرة في إحداهما ولا تظهر في الأخرى، وكانتا تشتركان في جميع الأمور سوى أمر واحد تنفرد به الحالة التي تبدو فيها الظاهرة، فإنّ هذا الأمر الذي تختلف فيه الحالتان المذكورتان هو علّة الظاهرة أو نتيجتها أو جزء ضروري من سببها[1].

3. **منهج الجمع بين الاتّفاق والاختلاف Joint Method of Agreement and Diffrence**: وهو منهج يجمع بين الطريقتين السابقتين، فيكون أكثر فعالية من أيّهما على حدى، إنّه محاولة التّحقق من ظهور المعلول بظهور العلّة، واختفائه باختفائها[2].

4. **منهج البواقي Method of Residue**: وهو منهج يسمح باستبعاد قبلي لجملة الظروف الحاضرة التي نعلم بناءً على استقراءات سابقة، أنّها عاجزة عن إحداث المعلول الذي نبحث عن علّته[3]، أي أنّه منهج للتّكهن بالعلّة استنتاجًا من فحص مؤقت يحتوي ظاهرة واحدة بقي علينا أن نفسّرها، ووجد بعض النّقاد أنّ لا داعي

---

[1] محمد عابد الجابري: **مدخل إلى فلسفة العلوم**، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 1976، ص282.

[2] يمنى طريف الخولي: **مرجع سابق**، ص138.

[3] اميل برهييه: **تاريخ الفلسفة (الفلسفة الحديثة 1850–1945)**، تر: جورج طرابيشي، ج7، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 1987، ص14.

لمنهج البواقي لعدم وجود فارق بينه وبين منهج الافتراق فأسقطوه وأقاموه منهجًا مستقلاً.

5. **منهج التّلازم في التّغير Method of Concomitant Variation** : وهو منهج يعني الكشف عن العلاقة الكمية بين العلّة والمعلول، أي التّناسب الطردي بين شدّتيهما، لذلك فهو أدق المناهج لأنّه منهج للتكميم.

وقد حاول "**ميل**" أن يبيّن في كتابه "مذهب في المنطق" أنّ:

- ✓ القضايا الضرورية قضايا لغوية صرف.
- ✓ الاستدلالات التقليدية المباشرة ظاهرية فحسب وليست حقيقية.
- ✓ القياس باعتباره استدلالا من مقدّمات إلى نتائج هو أيضا مجرّد إستدلال ظاهري.
- ✓ القياس هام على أساس توكيده للمقدّمة الكبرى أو الكليّة .
- ✓ توكيد قضية كليّة على أساس بيّنة خاصة يعدّ استدلالا حقيقيا ومن ثمّ فإنّ الاستنباط الخالص ليس استدلالا حقيقيا، أمّا الاستقراء فهو استدلال حقيقي.
- ✓ مبادئ الرياضة استقرائية تعتمد على الملاحظة.
- ✓ أنّنا نستطيع أن ندّعي في بعض الحالات إدّعاء صادقا في أنّنا نعرف قضايا كليّة تقوم على الاستقراء[1].

فمن خلال هذا يصرّح "**ميل**" بأنّ القياس ليس إلاّ مصادرة على المطلوب، لأنّ نتيجته مفترضة في مقدّمته الكبرى وهي المطلوب، إنّها لا تخرج عن أحد أمرين، أولهما أن تكون معروفة قبل المقدّمة التي تتضمّنها وعندئذ تنتفى الحاجة إلى وضع قياسي، وثانيهما أن تكون مجهولة وعندئذ يتعذّر وضع المقدّمة الكبرى، من هنا رأى أنّ القياس استنتاج جزئي من جزئي، كما أنّه ميّز بين الاستدلال المنطقي والاستدلال الواقعي، إذ أنّ الاستدلال المنطقي لا يقدّم بحسب رأيه أي معلومات واقعية عن العالم.

---

[1] جوناثان ري، وج.أو.أرمسون: **مرجع سابق**، ص337.

المطلب الثاني: نظريـــــة المعرفـــــة

لقد حاول "ميل" في ميدان نظرية المعرفة أن يعرض وجهة النظر التجريبية النفسية في طابعها المنطقي الخالص، وأهم مؤلفاته التي قدّم فيها هذا العرض بطريقة شاملة هو كتابه الفلسفي الثاني"**اختبار لفلسفة السير وليام هاملتون**"، ويعدّ هذا الأخير المؤلف الرئيسي للتجريبية الحديثة في نظرية المعرفة مثلما كان كتاب "تحليل ظواهر الذهن للعقل الانساني" **لجيمس ميل** مؤلفة الرئيسي في علم النفس، غير أنّ مذهبه في المعـرفة أقلّ في أهميته الفلسفية بكثير من مذهبه في المنطـق، وسبق أن استغلّه استغلالاً كاملاً مُمثلو التجريبية الكلاسيكيون الذين انتفع "**ميل**" نفسه من أبحاثهم.

إنّ الطابع الغالب عليه في هذا الميدان هو العودة إلى الأفكار القديمة **لـبركلي وهيوم**، وعلى الرّغم من أنّه توصّل إلى بعض الصّيغ الجديدة، فإنّه لم يضف إلى المعرفة إضافة حقيقية، وتتلخص وجهة نظره في القول بصيغة محدّدة بدقّة للمذهب الظاهري **Phenomenalism**، الذي كانت أهم تعاليمه هي تلك المتعلّقة بطبيعة المادة والذّهن، بتوصّله إلى حل لمشكلة العالم الخارجي أو المادة وذلك في صيغته المشهورة: "الإمكانات الدائمة للإحساس"[1].

ويذهب وليم كلي رايت إلى أنّ: المصدر الوحيد النهائي للمعرفة بالنسبة **لـ** "**ميل**" هو الإحساسات، فنحن لا نستطيع أن نعرف أشياء في ذاتها، ويمكننا أن نفسّر اعتقادنا في الوجود المستمر للموضوعات الخارجية تفسيرًا سيكولوجيًا، دون أن ندخل في تأمّلات ميتافيزيقية فيما يتعلّق بالطبيعة الحقيقية للعالم المستقل عن إحساساتنا[2]، مثال ذلك: أنّي أرى ورقة بيضاء على منضدة، ثمّ أنتقل إلى حجرة أخرى ومع أنّي انقطعت عن رؤية الورقة، فإنّي مُوقن أنّها ما تزال في موضعها، وذلك لأنّ باستطاعتي أن

---

[1] رودولف ميتس: **الفلسفة الانجليزية في مائة عام**، تر: فؤاد زكريا، دار النهضة العربية، القاهرة، 1963، ص73.

[2] وليم كلي رايت: **مرجع سابق**، ص422 .

أدرك ظواهـر معيّنة متى أدركت ظاهرة لها في تجربتـــي، وهذا ما يسمى شيئا أو جسما[1].

يتبيّن هنا أنّ المرء عند حديثه عن المنضدة معناه أنّه يتحدّث عن ترتيب من هذا النمط للإحساسات الفعلية أو الممكنة، فـ"**ميل**" هنا لا يبذل أية محاولة لجعل هذا الإمكان على أساس جوهر خارجي فعلي، وإنّما يعترف بأنّ هناك تتابعات أخرى من الشّعور إلى جانب تلك التي نكون شاعرينا بها، فنحن نضع في مقابل إحساساتنا الحاضرة إحساسات ممكنة أو إمكانيات مستمرة للإحساس، وهذه الإمكانيات لا تمثّل إحساسات منعزلة، بل مجاميع مشتقة من الإحساسات وهذا هو ما يجعلنا نتصوّر الجواهر على أنّها موضوعات من الوقائع.

كذلك الاعتقاد بوجود نفسي حتى حين لا يكون هناك إحساس ولا يكون تفكير ولا شعور بوجودها، يرجع إلى الاعتقاد بإمكان مستمر للتفكير والشّعور في أحوال معيّنة[2]، وهنا يعترف "**ميل**" بعدم تفسير تذكّر الماضي وتوقّع المستقبل، فإنّهما يفترضان بقاء الذي يتذكّر ويتوقّع، إذ لا يُعقل أنّ سلسلة الظواهر المدركة تدرك نفسها بما هي ماضٍ ومستقبل.

ثمّ إنّ التجربة تُرينا تواليات بين هذه المجاميع من الوقائع، وهذا هو ما يسمى بالعليّة، فمجموعة وقائع النّار الموضوعة أمام شمع تتلوها مجموعة انصهار لهذا الشّمع، وعلى هذا النّحو ندرك أنّ الإمكانيات للإحساس أكثر واقعية من الإحساسات الوقتية العابرة، وهذا يُفضي بنا إلى تصوّر وجود جواهر يتألف منها ما نسميه العالم الخارجي[3].

فإذا ارتقينا من ميدان الإدراك إلى ميدان المعرفة بالمعنى الحقيقي وجدنا العمليات الثلاث الرئيسية للفكر وهي: التّصور، والحكم، والبرهان، وبما أنّ "**ميل**" فيلسوف تجريبي فإنّه يؤمن بأنّ المعرفة البشرية بأسرها ترتدّ إلى قواعد تجريبية ومبادئ حسيّة.

---

[1] يوسف كرم: **تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سابق**، ص365.

[2] يوسف كرم: **تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سابق**، ص366.

[3] عبد الرحمان بدوي: **مرجع سابق**، ص469.

خلاصة:

لقد تمت الإشارة في الفصل الأوّل إلى التعريف بشخصية الفيلسوف "**جون ستيوارت ميل**" والوقوف عند أهم إنجازاته ووظائفه العلمية التي اشتغل فيها، وأبرز مؤلفاته التي خدمت موضوع بحثنا هذا.

فمن خلال ما تطرقنا إليه نستنتج أنّ "**ميل**" تميّز في فكره تميّزًا فريدًا من نوعه، وذلك لإتقانه وتأثّره بوالده والعديد من الفلاسفة على تعدّد مشارب لغاتهم وأفكارهم التي بُرزت فيه خلال فترة طفولته، والأثر الذي تركه فيه والده وأستاذه **بنتام** جعله يواصل ما تركوه من نفعيتهما، إذْ تعتبر هذه الأخيرة أي الفلسفة النفعية مجموعة من الرّكائز التي استند عليها في فلسفته والتي تشكّل المصدر الأول الذي استقاه من فلاسفة اليونان وفلاسفة ما قبل سقراط، حيث استمدّ منهم أسس فكره وتمّ نقد وتجاوز كل ما اعتبره غير ملائم في ظلّ تطور الفكر الإنساني.

كما أُعتبر "**ميل**" من أهم الفلاسفة التجريبين في العصر الحديث وذلك من خلال منهجه التجريبي الذي نجده في مؤلفه الشهير"**نسق المنطق**".

الفصل الثاني: أسس الليبرالية عند ميل.

المبحث الأول: التأصيل التاريخي لليبرالية.

المطلب الأول: تعريف الليبرالية.

المطلب الثاني: نشأة الليبرالية وأسسها.

المبحث الثاني: المجال الأخلاقي والاجتماعي لميل.

المطلب الأول: المنفعة ومبدأ الإلزام الخلقي.

المطلب الثاني: ارتباط العدالة بالمنفعة.

المبحث الثالث: المجال الإقتصادي والسياسي الليبرالي لميل.

المطلب الأول: مبادئ الاقتصاد السياسي.

المطلب الثاني: الحرية والحكومة النيابية.

المطلب الثالث: المرأة في منظور ميل.

تمهيـــــــد:

إنّ الليبرالية لم تتطوّر على يدّ مفكر أو فيلسوف واحد ومحدّد، وإنّما كانت نتاج العديد من المفكرين والفلاسفة، بحيث تمّ النّظر إليها كلّ حسب رأيه سواء في المجال الاقتصادي والسياسي أو الأخلاقي والإجتماعي، ولعلّ من أبرز الأسماء التي أثّرت تأثيرًا بالغًا في تأسيس الفكر الليبرالي الحديث نجد "**جون ستيوارت ميل**"، بحيث يعتبر هذا الأخير رمز من رموز الليبرالية، وهذا ما يدفع الباحثة إلى الكشف عن ماهية الليبرالية التي تكمن في تعريفها ونشأتها وأسسها، ومن خلالها يُبرز الفكر الليبرالي عند "**ميل**"، الذي سيتمّ الوقوف فيه عند أبرز النقاط التي تشكّل أسس ليبراليته في المجال الاقتصادي والسياسي والأخلاقي.

المبحث الأول: التأصيـل التـاريخـــي لليبراليـــة

إنّ لكل مذهب من المذاهب المتعارف عليها أسسه الفكرية ومميّزاته الخاصة التي تميّزه عن غيره من المذاهب الأخرى، والتي تحدّد وتوضّح الرّكائز الكبرى التي يقوم عليها هذا المذهب، ومن بين المذاهب التي تشهد اليوم دراسة كبيرة ومحور مهم وحضور بارز على الساحة الفكرية والدولية نجد المذهب الليبرالي، فمصطلح الليبرالية يشتمل على العديد من التعاريف والأسس التي يرتكز عليها، والذين ذكروا تعريفًا لليبرالية لمْ يتّفقوا على تعريف واحد، لوجود لبس في مفهومها ولاختلاف آراء مفكّريها الذين كان لهم الدور البارز لنشوئها في الغرب.

المطلب الأول: تـعريـــف الـليبراليـــة

لغة: يشير مصطلح الليبرالية عند الرّجوع إليه لغويا إلى الحريّة، والتي هي تعريب لكلمة **Liberalism** في الانجليزية و **Liberalisme** في الفرنسية، وهي تعني التحرّرية، ويعود اشتقاقها إلى **Liberty** في الانجليزية أو **Liberte** في الفرنسية، ومعناها الحرية[1].

وكثير من الكتّاب يعرّفون الليبرالية بترجمتها اللّفظية من اللاتينية إلى العربية بأنّها تعني الحريّة، فكلمة ليبراليس **Liberalis** تعني ما يليق بالرّجل الحر، وكلمة ليبيت **Libet** ولوبيت **Lubet** تعني الطّليق[2].

يقول الطيّب بوعزة: يرجع لفظ الليبرالية من حيث الاشتقاق اللّغوي إلى اللّفظ اللاتيني ' ليبراليس' الذي يعني 'الشخص الكريم'، 'النبيل'، 'الحر'، ومن بين هذه الدلالات الاشتقاقية التي يحملها اللّفظ نجد أنّ المعنى الأخير أي 'الشخص الحر' هو المعنى الذي سيكون مرتكز البناء الدلالي للمفهوم لاحقًا، حيث نلاحظ أنّه حتى نهاية القرن الثـامن عشر لم يكن لفظ الليبراليـــة متداولاً، بل كانت الكلمة الشائعة هي ' ليبـــرال'

---

[1] جميل صليبا : **مرجع سابق**، ص465.

[2] عبد العزيز بن مرزوق الطريفي: **العقلية الليبرالية(في رصف العقل ووصف النقل)**، دار الحجاز للنشر والتوزيع، ط1، الاسكندرية، 2011، ص133.

Libéral التي يقصد بها وقتئذ 'الشخص المتحرّر فكريًا'[1].

اصطلاحا: خلال البحث والدراسة المتأنّية لموضوع الليبرالية نجد أنّه لم يكن هناك اتفاق على تعريف واحد للمفهوم، إذ يرى الطيّب بوعزة :" أنّ الليبرالية هي فلسفة اقتصادية وسياسية ترتكز على أولوية الفرد بوصفه كائنًا حرًّا، فمقولة الحريّة هي المقولة المركزية التي يحرص المذهب الليبرالي على إبرازها في تحديد ذاته ونقد مخالفه، وكأنّه هو وحده الذي ينزع نحو الحريّة ويحلم بتجسيدها"[2].

وهنا يتبيّن أنّ الليبرالية من الناحية الفكرية تعني حريّة الاعتقاد والتفكير والتعبير، ومن الجانب الاقتصادي تعني حرية الفعل الاقتصادي المنتظم وفق قانون السّوق وحريّة الملكية الشخصية، أمّا على المستوى السياسي فإنّها تعني حريّة اختيار السلطة والتّجمع وتأسيس الأحزاب.

وقد عرّفها الفيلسوف السويسري "**جان جاك روسو**"(1712-1778) بأنّها: "الحريّة الحقّة في أن نطيع القوانين التي اشترعناها نحن لأنفسنا"، كما عرّفها الفيلسوف الفرنسي "**جول لاشلييه**" (1832-1918) بأنّها: "الانفلات المطلق بالتّرفع فوق كل نزوع وكل طبيعة"، إضافة إلى المفكر الإنجليزي "**توماس هوبز**" (1588-1679) الذي عرّفها بأنّها: "غياب العوائق الخارجية التي تحدّ من قدرة الإنسان على أن يفعل ما يشاء"[3].

ويذهب **لالاند** في تعريفه لليبرالية إلى أنّها: مذهب سياسي يرى أنّ من المستحسن أن تزداد إلى أبعد حدّ ممكن استقلالية السلطة التشريعية والسلطة القضائية بالنسبة إلى السلطة الإجرائية والتنفيذية، وأن يعطي للمواطنين أكبر قدر من الضمانات في مواجهة تعسّف الحكم، زيادة على أنّها مذهب اقتصادي يرى أنّ الدولة لا ينبغي لها

---

[1] الطيّب بوعزة: **نقد الليبرالية**، دار المعارف الحكمية، ط1، لبنان، 2007، ص ص18،19.

[2] نفسه، ص20.

[3] عبد العزيز بن مصطفى كامل: **معركة الثوابت بين الإسلام والليبرالية**، دار الكتب، (د.ط)، القاهرة، 1996، ص ص32،33.

أن تتولّى وظائف صناعية، ولا وظائف تجارية، وأنّها لا يحقّ لها التّدخل في العلاقات الاقتصادية التي تقوم بين الأفراد والطبقات أو الأمم[1].

كما يعرّفها **عبد الله العروي** بأنّها: " تعتبر الحرية المبدأ والمنتهى، الباعث والهدف، الأصل والنتيجة في حياة الإنسان، وهي المنظومة الفكرية الوحيدة التي لا تطمع في شيء سوى فصل النشاط البشري الحر وشرح أوجهه والتعليق عليه"[2].

يقول جميل صليبا:" مذهب الحرية **Liberalism** هو مذهب سياسي فلسفي يقرّر أنّ وحدة الدّين ليست ضرورية للتنظيم الاجتماعي الصالح، وأنّ القانون يجب أن يكفل حرية الرأي والاعتقاد"[3].

وفي موضع آخر نجد أنّ الليبرالية هي مذهب سياسي واقتصادي واجتماعي، يقوم في جوهره على حماية وتعزيز وسمو حرية الفرد المقرونة بالمسؤولية، بحيث يؤكد الليبراليون على الدّور الذي يجب أن تلعبه الحكومات والقوانين لحماية الأفراد من التّعرض للأذى من قبل الآخرين، والاعتداء على حقوق ملكيتهم، ولكنّ الليبراليون يحذّرون أيضًا من أن تتحوّل هذه الحكومات والقوانين نفسها إلى خطر على الحريّة وحقوق الأفراد[4].

وبالنسبة "**لجون ستيوارت ميل**" الذي هو موضوع البحث فإنّه يعدّ الأب الرّوحي للفكر الليبرالي، بحيث يعرّف الليبرالية بأنّها: "إطلاق العنان للنّاس ليحقّقوا خيرهم بالطرق التي يرونها، طالما لا يحاولون حرمان الغير من مصالحهم، أو لا يعوقون

---

[1] أندريه لالاند: **موسوعة لالاند الفلسفية**، تر: خليل أحمد خليل، مج 1، منشورات عويدات، ط2، بيروت، 2001، ص ص725،726.

[2] عبد الله العروي: **مفهوم الحرية**، المركز الثقافي العربي، ط5، بيروت، 2012، ص49.

[3] جميل صليبا: **مرجع سابق**، ص465.

[4] محمد سبيلا، نوح الهرموزي: **موسوعة المفاهيم الأساسية في العلوم الانسانية والفلسفة**، منشورات المتوسط، ط1، بغداد، 2017، ص412.

جهودهم لتحقيق تلك المصالح، فكل فرد يعدّ أصلح رقيب على ثروته الخاصة سواء كانت هذه الثروة جسمانية أم روحية أم فكرية"[1].

وخلاصة ذلك أنّنا لو نظرنا إلى التعريفات السابقة نجد أنّ هناك مجموعة من العناصر التي اتّفق عليها الليبراليون وأشار لها الباحثون في هذا المجال وهي: أنّ الليبرالية فلسفة اقتصادية وسياسية واجتماعية، وطريقة في التفكير، تدور حول الإنسان والسياسة والاقتصاد، كما أنّها غربية المنشأ، تؤكد على الحرية الفردية المطلقة في جميع مجالات الحياة، وعدم التقيّد بأيّ ضوابط أو قيود، فالإنسان تابع لنفسه وهواه، وهي تعني الانفلات باسم الحرّيات والتّحرر التام من كل أنواع الضغط الخارجي، وعليه فإنّ النواة الأساسية للفكر الليبرالي هو حرية الفرد الغير محدودة، باعتبار أنّ الليبرالية منظومة فكرية شاملة تعطي تصوّر كامل عن الإنسان وأسباب وغاية وجوده وسعادته.

المطلب الثاني: نشـأة الليبراليــة وأسسـها الفكريــة

جاء ظهور الفكر الليبرالي محصّلة لتراكمات تاريخية طويلة شكّلت امتدادًا لصيرورة التّطور البشري الشامل، والانتقال من المراحل البدائية إلى الأكثر تعقيدًا، ارتباطًا بتطوّر المجتمعات البشرية، وما راكمته من تجارب ومعارف علمية ونمو اقتصادي وتبدّلات اجتماعية متنوعة.

فالفكر الليبرالي ساهم فيه عدّة مفكرين وفلاسفة أعطوه شكله الأساسي وطابعه المميّز، فكان تراكم للخبرات البشرية المرتبطة بالمصالح الاجتماعية والاقتصادية في ظروف تاريخية معيّنة .

وميلاد الليبرالية كان في القرن السابع عشر مع "**جون لوك**" (1632-1704) إضافة إلى "**جون ستيوارت ميل**" في القرن التاسع عشر، وهما الأساسيان اللّذان وضعا الأفكار المولّدة للنظرية، وأهم نقلة في الموضوع هي النقلة من نظرية **أفلاطون** إلى النظرية الليبرالية، فنظرية **أفلاطون** تقوم على مفهوم المجتمع، وقد بناها

---

[1] جون ستيوارت ميل: **عن الحرية**، تر: هيثم كامل الزبيدي، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 2017، ص87.

كتابه الجمهورية، أمّا الليبرالية فقد قامت على فكرة الفرد، وهذا تحوّل من مفاهيمية المجتمع بوصفه كتلة إلى الفرد، فالليبرالية في بداياتها تتّجه إلى صناعة الفرد الحر[1].
ويذهب أكثر الباحثين إلى أنّ أصول الليبرالية وجذورها ترجع إلى ردود الأفعال البائسة التي كانت عليها أوروبا في القرون الوسطى، فقد كانت أوروبا تدين بدين محرّف ورث حالة من الطغيان والعدوان على حرّيات لا مثيل لها، وكان نظامها السياسي نظامًا استبداديًا قاسيًا، وقد كسّر المجتمع الأوروبي هذا الطوق بصورة متدرّجة، منذ أن بدأت التحوّلات الفكرية تبرز في المجتمع، وكان من أبرزها النزعة الإنسانية، وإحياء الآداب الإغريقية الوثنية القديمة، وحركة الإصلاح الديني (البروتستانية)، إضافة إلى الفكر المادي التجريبي وظهور النظريات العلمية الجديدة.
وقد تزامن مع هذه التحوّلات الفكرية تحوّلات اجتماعية، وذلك في ظهور طبقة اجتماعية جديدة هي البرجوازية، وهذا التحوّل الاجتماعي اصطدم بالأوضاع الدينية والسياسية والاقتصادية القائمة، وهذا ما جعل الصراع ينشب بين طلائع الرأسماليين الجدد، والأوضاع التي تعدّ عوائق أمام تقدّم هذه الطبقة الجديدة[2]، وهنا يتبيّن أنّ الليبرالية نشأت كردّة فعل غير واعية بذاتها ضدّ مظالم الكنيسة والإقطاع، ثم تشكّلت في كل بلد بصورة خاصة، وكانت وراء الثورات الكبرى في العالم الغربي (الثورة الإنجليزية، والأمريكية، والفرنسية)، ولكن نقطة الالتقاء لم تكن واضحة بدرجة كافية، وهذا يتبيّن من تعدّد اتجاهاتها وتيّاراتها.
لذا فإنّنا نجد الجذور التاريخية لليبرالية في الحركات التي جعلت الفرد غاية بذاته، معارضة في كثير من الأحيان التقاليد والأعراف والسلطة، رافضةً جعل إرادة الفرد مجرّد امتداد لإرادة الجماعة، ورغم أنّ الليبرالية كإديولوجيا هي ظاهرة حديثة نسبيًا،

---

[1] عبد الله محمد الغذّامي: **الليبرالية الجديدة (أسئلة في الحريّة والتفاوضية الثقافية)**، المركز الثقافي العربي، ط1، المغرب، 2013، ص118، نقلا عن: Russell, **History of Western Philosophy**,577,583
[2] عبد الرحيم بن صمايل السلمي: **حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها**، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ط1، المملكة العربية السعودية، 2009، ص15.

فإنّ بعض تباشيرها تظهر عند ديمقراطي أثينا في القرن الخامس قبل المسيح، وعند الرواقيين، وفي المراحل الأولى من المسيحية، ثم في حركة الإصلاح البروتستانتية، وفي خطبة **بركليس Pericles** (495–429) ق.م الشهيرة، التي أبّن بها شهداء أثينا الذين سقطوا في بداية الحرب ضدّ إسبرطة، كذلك فإنّ **بروتاغوراس جعل** الفرد مقياس كل شيء وشارك ديمقريطس قناعته بأنّ القوانين والمؤسسات من صنع الإنسان وأنّ الإنسان بالتالي مسؤول منها، ويبقى **سقراط** في حياته وتعليمه نموذجًا فذًّا للإيمان بقدرة العقل وأهميته، وضرورة إخضاع معتقداتنا للنقد والتدقيق في جوّ من الحريّة والانفتاح[1].

من هنا يمكن القول أنّ الليبرالية في أصلها ونشأتها، هي مذهب فكري غربي، ولد ونشأ في الغرب في القرن السابع عشر في إنجلترا، وفي أواخر القرن الثامن عشر في فرنسا، إذ شهدت أوروبا خلال القرن التاسع عشر انهيار النظام الإقطاعي مع انتشار مجموعة من المبادئ التي نادى بها الكثير من الفلاسفة، والتي كان الهدف منها إقرار الحرّيات للشّعوب.

والليبرالية على هذا النحو من إنتاج القرنين الثامن عشر والتّاسع عشر في أوروبا، وإن كانت جذورها تمتد إلى **جون لوك** في القرن السابع عشر، بل إنّ بعض المؤرخين يعود بها إلى اليونان فيتحدّثون عن ليبرالية قديمة، كما هي الحال عند **بروتاغوراس** أو **ديمقريطس** أو غيرهما[2].

يعدّ **جون لوك** من أبرز فلاسفة الليبرالية في القرن 17، حيث نجد أنّ نظريته تتعلّق بالليبرالية السياسية وتنطلق من فكرة العقد الاجتماعي في تصوّره لوجود الدولة، حيث يرى أنّ الدولة نشأت لحماية حقوق البشر وحرّياتهم التي منحتها إيّاهم الطبيعة، يقول في هذا الصدد: " إنّ الدولة إنّما نشأت لحماية حقوق كانت قائمة، وتنازل الفرد عن

---

[1] معن زيادة: **الموسوعة الفلسفية العربية**، مج 2، معهد الإنماء العربي، ط1، (د.ب)، 1988، ص1155.

[2] جون ستيوارت مل: **أسس الليبرالية السياسية، مصدر سابق**، ص7.

جزء من حقوقه إنّما ليضمن لنفسه التّمتع بما بقي له من حقوق وحريات أساسية[1]، ومن هنا نصل إلى القول بأنّ اسم **جون لوك** قد برز بشكل كبير في الليبرالية خاصة في المجال السياسي، فقد دافع هذا الأخير عن الحريّة وعن الحقوق والحرّيات السياسية للأفراد، ورأى بضرورة منح الفرد الحريّة الكبيرة وجعل الحكم بيد الشّعب ومنحه السلطة الأولى.

كما نجد "**جون ستيوارت ميل**" الذي دعى لليبرالية في القرن التاسع عشر، وهو عماد من أعمدة الفكر الليبرالي السياسي والاقتصادي وهذا ما سيتمّ تناوله فيما هو آتي.

- **أسس الليبرالية:** إنّ الفكر الليبرالي يعتبر من بين الاتجاهات الفكرية التي نجحت في إعتماد مرتكزات وأسس تمثلت في الحريّة والفردية والعقلانية.

1. **الحرية:** تعتبر الحرية جوهر الكائن البشري وهي غاية الوجود الإنساني وشرط لتحقيق الكمال والخلق الذاتي للحصول على مشروعية الفعل الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، وحيثما توفّرت أجواء خاصة بالحرية يسود فيها التّفاهم والاعتبار المتبادل والثّقة المتحقّقة بين الأفراد حكامًا ومحكومين، انعدم بذلك الإحساس بالظلم والتّفرقة والعنصرية والاستبداد.

وقد ظهر مفهومان للحرية، الأول فهم سلبي يؤمن بأنّ الحرية هي غياب العوائق الخارجية التي تحدّ من قدرة الإنسان في فعل ما يريد، وبهذا يصبح معيار هامش الحرية الموجود في مجتمع ما هو العوائق التي تضعها السلطة السياسية لتمنع الفرد من فعل ما يشاء، فإن زادت العوائق قلّت الحرية، وإن قلّت العوائق زادت الحريّة، أمّا الفهم الثاني فهو فهم إيجابي يؤكد دعاته على أنّ غياب العوائق الخارجية غيرُ كافٍ لنتوفّر على الحرية، لأنّنا إذا كنّا عبيد للمنافع الخاصة وللرغبات والأهواء فإنّنا لن نكون أحرار، بل نكون أحرارًا عندما نعبّر عن المنفعة العامة أو الإرادة العامة[2]، أي

---

[1] جون لوك: **الحكومة المدنية**، تر: محمود شوقي الكيال، الدار القومية للنشر والطباعة، مصر، (د.ت)، ص7.

[2] إيزايا برلين: **مرجع سابق**، ص ص39 إلى 47.

أنّه لا مانع عند أصحاب الاتجاه الإيجابي من تدخل الدولة في المصلحة العامة للأفراد في حدود لا تؤثّر على حرّيـاتهم، وبالتالي يكون الفـرد سيّـد نفسه مستقـلاً بذاته قادرًا على تنمية مهاراته ومواهبه، والوصول إلى الانجاز والرّضى.

وعليه تعدّ الحرية أولى الأسس الليبرالية، فالليبراليون يتّفقون بالإجماع على كون الحرية كشرط أساسي في المجتمعات، حيث يمنحون الفرد الحقّ في حرية التعبير والرأي والملكية والتّمتع بالحقوق والحياة وهذا ما نجده راسخا في تعاليم الليبرالية.

ويذهب **ناصيف نصّار(1940)** إلى أنّ: "قوة الليبرالية متأتّية ليس فقط من كونها ترفع راية الحرية الفردية وتعارض نزعة تذويب الفرد في الجماعة، بل أيضا من كونها تطالب بالحرية لجميع أفراد البشر، بلا استثناء رجالاً ونساءً، وبالإعتراف المتبادل بهذه الحرية"[1].

إذا الحرية عنصر أساسي في الديمقراطية الليبرالية، ولا يمكننا أن نتخيّل البناء الديمقراطي الليبرالي بدون حرية، لذلك مجّدها المفكّرون الليبراليون الأوائل من أمثال فلاسفة العقد الاجتماعي **(توماس هوبز، جون لوك، جان جاك روسو)**، إضافة إلى الليبرالي "**جون ستيوارت ميل**"، وأصبحت في فترة قصيرة شعارًا لكثير من الأنظمة والدول الديمقراطية الليبرالية التي جعلت منها قيمة أولية من مجموع نظامها.

2.**الفردية**: مصطلح يستخدم لوصف كل فكر أو سلوك من شأنه أن يمنح الفرد قيمة جوهرية تتفوّق على قيمة المجتمع، ممّا يعني أنّ الفردية هي تفضيل القيم الفردية الشخصية على القيم الجماعية اللاشخصية، وعلى هذا الأساس تكون الفردية السياسية فكر أو سلوك يتبنّى مثلاً سياسيًا أعلى، قوامه الإيمان بالمبادرة الفردية وممارستها وتطويرها بعيدا عن تدخل الدولة، ممّا يقضي إيمانه بتقليص وظائف الدولة إلى أقصى حد ممكن، وفي هذا الصدد أكّد " **ميل**" من قبل أنّ الفردية تقود إلى

---

[1] ناصيف نصّار: **باب الحرية**، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 2003، ص77.

الليبرالية كما لو كانت تقود لمصاحبها العملي الحتمي، لأنّ الليبرالية التقليدية تجد في المبادرة الفردية أساسًا لكل نشاط[1].

وبهذا فالفردية تعتبر الرّكيزة الأساسية، وقد ارتبطت ارتباطًا وثيقًا بالحرية فأصبحت الفردية تعني استقلال الفرد وحرّيته، وقد جاءت كذلك بمعنيين، الأول تعني فيه الفردية الأنانية وحبّ الذات، وهذا المعنى غلب على الفكر الغربي، والمعنى الثاني تعني فيه الفردية استقلال الفرد من خلال العمل المتواصل والاعتماد على النفس، وهذا ما نجده لدى البراغماتيين، وهنا يكمن المفهوم الحديث للفردية، وعليه فإنّ الليبراليون يعيدون للفرد فرديته وذاته، التي سلبت خلال العصور الوسطى من طرف سيطرة الكنيسة ورجال الدين، وبهذا تعود للفرد حريته وفاعليته في المجتمع ومنحه الاستقلالية التّامة من أيّ سلطةٍ أو موروثٍ قديمٍ، إلاّ أنّ هذه الفردية تجعل الفرد كذلك يندمج في حبّ ذاته والبحث عن تحقيق مصالحه الخاصة وهنا تبرز أنانيته.

3. **العقلانية:** هو مذهب فلسفي ينحو منحى وثوقيًا في التمسّك بالعقل كمصدر للمعرفة وكوساطة للحقيقة، وكمبدأ يحكم الفعل الإنساني وينتظم الواقع، يقول **'إدغار موران' (1921) Edgar Morin** في تعريفه للعقلانية: "العقلانية هي أولا تقصّي من الواقع اللاّمعقول، وما لا يتوافق مع العقل، والعقلانية ثانيا هي تصور أخلاقي يؤكد أنّ الأفعال والمجتمعات الإنسانية ينبغي أن تكون عقلانية في مبدئها ومسلكها وغايتها"[2]. ومن هنا نفهم أنّ العقلانية تعني اعتماد الفرد على عقله في الوصول إلى جميع المعارف والمصالح والمنافع، وعليه فإنّ هذا الأساس يخالف ما كان سائدا أيضا في العصور الوسطى، ويطلق العنان للعقل الذي كانت فاعليته محجوزة ومجمّدة، وبهذا يعدّ العقل هو مصدر المعرفة ومصدر الوصول إلى المنافع.

---

[1] عبد الرضا حسين الطعان: __مدخل إلى الفكر السياسي الغربي الحديث والمعاصر__، ج2، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، (د.ت)، ص ص22،21.

[2] محمد سبيلا، نوح الهرموزي: **مرجع سابق**، ص346.

وتعتبر العقلانية من مكونات الليبرالية بالمفهوم المتقدّم، فقد ربط الليبراليون السياسة والاقتصاد بهذا الأساس الفلسفي (العقلانية)، فالدولة تتكوّن (بالعقد الاجتماعي) المنظّم لهذه الحقوق والمحافظ عليها، والحرية الملكية الفردية تقوّم الطبيعة بجعلها لمصلحة المجتمع مع أنّ الفرد لم يقصد ذلك، ولا يعرف كيفية حصوله[1].

والمقصود هنا أنّ الحريات هي حقوق مستندها الشرعي الطبيعة، وليس أمرًا خارجيا عن الطبيعة المادية المشاهدة، وطريق معرفة الطبيعة هو العقل وأدواته كالحس والتجربة.

فمن خلال هذه الأسس المقدّمة نجد أنّ الحرية جوهر الليبرالية، وفي الوقت نفسه آلية عملها، والفردية تمثل الأساس الفلسفي للمفهوم الليبرالي بوصفها البنية الأساسية التي أخرجت الليبرالية إلى حيّز الوجود، في حين أنّ العقلانية تشكّل الحارس على اختيارات الإنسان الليبرالي ومعياره الأوحد لإدراك المصالح والمنافع، وإصدار الحكم عليها دون الحاجة إلى قوى خارجية عن ذات الإنسان.

المبحث الثاني: المجال الأخلاقي والاجتماعي الليبرالي لميل.

تمثلت الإرهاصات الأولى للمذهب النفعي العام في بعض كتابات **دافيد هيوم**، ثم قام **جريمي بنتام** بتطويرها، كما نجد أن الكثير من فلاسفة الأخلاق حملوا لواء مذهب المنفعة وراحوا ينادون بما نادى به روادها بأنّه ينبغي على كل إنسان أن يراعي في كل فعل من أفعاله بأن يكون هذا الفعل منتجا لأكبر قدر من السعادة، وهذا ما ذهب إليه "**جون ستيوارت ميل**" الذي يعدّ من أصحاب مذهب المنفعة العامة، و هو الأساس المتين الذي تُبْنَى عليه ليبرالية قويمة، فالأساس الأخلاقي الليبرالي الذي بناه "**ميل**" يعتمد أساسًا على مبدأ المنفعة الذي يرتبط بفكرة العدالة والإلزام الخُلقي.

---

[1] عبد الرحيم بن صمايل السلمي: **مرجع سابق**، ص155.

<u>المطلب الأول</u>: المنفعة ومبدأ الإلزام الخلقي

- المنفعة Utilitarianism :

لغة: مشتقة من الأصل اللاتيني **Utilitas** أي خاصية وميزة للشيء النّافع.

يقول جميل صليبا: "نفعه نفعًا أفاده وأوصل إليه خيرًا والمنفعة **Utilité** اسم من النّفع، وهي الفائدة التي تترتّب على الفعل"[1].

اصطلاحا: المنفعة مذهب أخلاقي غايتها تحصيل سعادة الفرد، يقول جميل صليبا في المعجم الفلسفي:" إنّ المنفعة مبدأ جميع القيم، علمية كانت أو عملية، ولها في الفلسفة الحديثة ممثّلان شهيران، أحدهما **'بنتام'** والآخر **'ستيوارت ميل'**، أمّا **بنتام** فإنّه يرى المنفعة علّة اللّذة، لا اللّذة نفسها، وغايتها تحقيق خير الفرد والجماعة، أمّا "**ميل**" فإضافته على مذهب **بنتام** في حساب اللّذات الكمّية تتمثّل في اللّذات وتحديدها كيفًا"[2].

ويذهب **لالاند** إلى أنّ "مذهب المنفعة يجعل من النّافع أساس كل القيم في مجال المعرفة وكذلك في مجال الفعل"[3].

- لقد سار"**ميل**" على نفس الدّرب الذي سبقه إليه "**بنتام**" أمام المذهب الأخلاقي النفعي، في كون أن المنفعة هي السبيل إلى تحقيق السعادة، وهذا ما يؤكده "**ميل**" في كتابه "**النفعية**" بقوله:"بالنسبة للنظرية النفعية، النّافع ليس أداة بل يدل على أمر أخلاقي يتمثّل في السّعي لتحقيق أكبر سعادة ممكنة لأكبر عدد من الناس"[4].

بمعنى أنّ المنفعة هي غاية الأفعال الإنسانية، ومعيار للأحكام الخُلقية، فهو يعترف بأنّ النظرية التي يعتنقها في المنفعة شعارها "أعظم قدر من السعادة كأساس للأخلاق"؛ ومعنى ذلك أنّ الأفعال تكون صوابا بقدر ما تساعد على زيادة السعادة

---

[1] جميل صليبا، **مرجع سابق**، ص499.

[2] نفسه، ص500.

[3] أندريه لالاند ، **مرجع سابق**، ص1514.

[4] جون ستيوارت ميل: **النفعية، مصدر سابق**، ص23.

وخطأً بقدر ما تساعد على إنتاج التّعاسة، ويقول "إنّ ما أعنيه بالسعادة هو اللّذة وغياب الألم، وبالتّعاسة الألم وفقدان اللّذة"[1]، وهنا يتّفق "**ميل**" مع أستاذه **بنتام** في إقرار مبدأ المنفعة غاية لكل سلوك إنساني والمعيار الذي نحدد ونحكم به على أفعال الإنسان صوابًا كان أو خطأً.

غير أنّ "**ميل**" يشير إلى أنّ النظرية التي تعتنق المنفعة تثير لدى الكثير من ذوي العقول النيّرة والنبيلة كراهيةً ونفورًا مستمرًا في نفوسهم، فضلاً بأنّ الحياة ليس فيها غاية أسمى وأرفع وأنبل من اللّذة، وهذا القول يصفونه بمبدأ يليق بالخنازير، وتعرّض معتنقوا مذهب المنفعة لمقارنات كتلك التي تعرّض لها الأبيقوريون ووصفهم بالخنازير.

غير أنّ الأبيقوريون بنظر "**ميل**" كانوا "باستمرار يجيبون بأنّهم لم يفعلوا ذلك، بل خصومهم هم من صوّروا الطبيعة الإنسانية بشكل مهين"[2]. لأنّه اتهام يفترض أنّ الطبيعة الإنسانية وطبيعة الخنازير على حدّ سواء، هي مقارنة منحطّة تمامًا، و"**ميل**" يعترف بوجود نقص في مذهب المنفعة عند الأبيقوريين، وكمبدأ أخلاقي يجب أن يشتمل على بعض العناصر من الرواقية والمسيحية المتأخّرة التي تنسب الملّذات العليا إلى العقل، ومن هنا وجب التفريق بين أنواع اللّذات تفريقًا كيفيًا يجعل لذة أسمى وأرقى من لذة أخرى حتى نزيل شبهة تساوي الإنسان والحيوان في منابع اللّذة، فهو يقرّ بأنّ هناك نوعان من اللّذات: اللّذات الحسية واللّذات العليا، فالأولى تتمثّل في الشّهوات المختلفة والثانية تقوم على إشباع الملكات العليا في الفرد أي الملكات العقلية، وبها تتحقّق السعادة ليس لصاحبها فقط وإنّما للمجتمع ككل.

إذًا مفهوم السعادة عند "**ميل**" يختلف عن مفهومه عند **بنتام**، لأن هذا الأخير اعتبر اللّذات كلّها من طبيعة واحدة، و"**ميل**" قام بإدخال تعديل هام على نفعية **بنتام**، ألا وهو مفهوم الكيف أي أنّ اللّذات تختلف فيما بينها بالكيف، ورفض "**ميل**" النظرية

---

[1] جون ستيوارت ميل: **أسس الليبرالية السياسية، مصدر سابق**، ص45.

[2] Mill John Stuart, **L'Utilitarisme**, Trad Philippe Folliot, Université de Québec, Canada, 4ed, 2008, p14.

الدّاعية للسّعي نحو اللّذات الحسية الخالصة، مؤكّدًا بأنّ اللّذة الحسية تصلح غاية تتبعها الخنازير أمّا الإنسان فعنده قوى سامية تميّزه عن البهائم، "فمن الأفضل أن يكون المرء موجودًا إنسانيًا غير راضٍ من أن يكون خنزيرًا راضيًا، ومن الأفضل أن يكون سقراط غير راضٍ من أن يكون أحمق راضيًا"[1].

وعليه فإنّ مذهب المنفعة عند "**ميل**" لا يخرج عن كونه صورة منفعة، أو تصحيحا عقليًا لفلسفة اللّذة، فالبشر حسبه يفقدون تطلّعاتهم لأنّهم يفقدون أذواقهم الفكرية وذلك بسبب ضيق الوقت أو عدم توفّر الفرص السّانحة لهم بالتدليل عليها، فيدمنون على اللّذات الحسية بسبب أنّهم يفضّلونها بعد المداولة، بل لأنّها هي الوحيدة التي لديهم إمكانية الوصول إليها أو الوحيدة التي يمكن الاستمتاع بها[2].

وقد اتّجه "**ميل**" بالفعل الخيّر وجهة اجتماعية خالصة فربط بين سعادة الفرد وسعادة المجموع، وأكّد على أنّ الفعل الخيّر هو الذي يحقّق أكبر قدر من السعادة لأكبر عدد من النّاس، ومن هنا جاء اهتمامه بالكشف عن طرق جديدة توفّر للنّاس أسباب السعادة، وهذه الأخيرة عنده هي الشيء المرغوب فيه لذاته بصرف النظر عمّا يحتمل أن ينجم عنه من نتائج وآثار.

هذا، وإن كان "**ميل**" قد سلّم بالأنانية أساسًا للأخلاق، إلاّ أنّه أشفق من جعلها الأساس الوحيد الذي تُبنى عليه الأخلاق، فأضاف إليها الغيرية، مقوّمًا للأخلاقية وأساسًا لبنيانها.

ويمكن تلخيص وصف "**ميل**" لمذهب المنفعة في العبارات الخمس التالية:

1. اللّذة هي موضوع الرغبة الوحيد لدى النّاس.
2. الدّليل على أنّ الشيء يكون مرغوبًا فيه هو سعي النّاس ورغبتهم في تحقيقه فعلاً.
3. سعادة الفرد أو لذّته خير له، ومن ثمّ فاللّذة العامة أو السعادة الكلية هي خير الجميع.

---

[1] جون ستيوارت ميل: **أسس الليبرالية السياسية، مصدر سابق**، ص47.

[2] جون ستيوارت ميل: **النفعية، مصدر سابق**، ص42.

4.الأشياء الأخرى التي يرغبها النّاس ليست إلاّ مجرد وسائل تعيننا على بلوغ السعادة.
5.إذا تمّ تفضيل لذّة من لذتين بمعرفة الأكفّاء من النّاس، فنستطيع أن نبرّر ذلك بقولنا أنّ تلك اللّذة المفضلة تفوق اللّذة الأخرى من حيث الكيف[1].

وعليه فالشّعار الذي دافع عنه "**ميل**" وأنصار المذهب النفعي الذي يعني جلب أكبر قدر من السعادة لأكبر عدد من النّاس، هو شعار يوضّح كيفية سيطرة المنفعة على الليبرالية، إذْ أصبحت هي مصدر تعاليمها والسبيل إلى تقدّمها وتطوّرها ومقياسًا للمفاضلة بين الشّعوب.

- مبدأ الإلزام الخلقي:

إنّ "**ميل**" لا يخالف **بنتام** في القضية المنهجية الأساسية التي تحكم مصدر الإلزام الأخلاقي متمثّلة في افتراض الغرض النّافع المسبق أكان خاصًا أم عامًا، وقد أعلن ذلك صراحة بالقول: "أنا أعتبر المنفعة هي النداء النهائي في كافة القضايا الأخلاقية، ولكن لا بدّ أن تكون المنفعة في المفهوم الأوسع مبنية على المصالح الدائمة للإنسان"[2].

فمبدأ المنفعة يحتوي على الجزاءات الموجودة في أي مذهب أخلاقي آخر، وهذه الجزاءات إمّا داخلية أو خارجية، فالجزاءات الخارجية تتمثّل في التقدير من الآخرين أو الخوف منهم أو من الله، أو التعاطف معهم، والواقع أنّ هذه الدوافع تشير إلى طلب السعادة العامة، فإذا كان الدافع دينيًا تواصلوا فيما بينهم أن يكون سلوكهم وفقًا لما يرضي الله، متضمّنا نشر السعادة العامة، ومن اتّخــذ مبدأ المنفعة معيارًا لسلوك الفرد، استمدّ الإلزام من المبدأ ذاته، سواء كان الإلزام ناشئًا في الحالتين عن الدافع أو المبدأ فالغاية واحدة، ومن هنا يمكن القول أنّ الأخــلاق النفعيــة تفرض نفسها لأنّها

---

[1] ويليام ليلى: **مقدمة في علم الأخلاق**، تر: علي عبد المعطي محمد، منشأة المعارف، الاسكندرية، 2000، ص299.
[2] جون ستيوارت ميل: **عن الحرية، مصدر سابق**، ص16.

استقت إلزامها بما هو نابع عن الجزاءات الخارجية[1].

أمّا الجزاء الداخلي أو الباطني فهو شعور بداخلنا أي يتمثّل في الضمير الذي يجعلنا نتألّم عندما ننتهك الواجب، والضمير لا يمكن تجاهله لأنّه ظاهرة ترافقها ارتباطات نفسية مستمدّة من المشاركة الوجدانية ومن الحب والخوف، إضافة إلى جميع أشكال الشّعور الديني، ومن ذكريات الطفولة وكل حياتنا الماضية، واحترام الذّات والرغبة في احترام الآخرين، وفي هذا الصدد يقول "**ميل**": "أعتقد أنّ هذا المركب البالغ التعقيد هو مصدر ذلك النوع من الطابع الصوفي، الذي يمكن على سبيل المثال أن ينسب إلى الإلزام الخلقي"[2]، وهذا التركيب المعقّد من الوجدانات هو الذي يخلع على الضمير هذا الطابع الملزم، ويصاحب الفاعل شعور بالنّدم عند كسر مقاييس الصواب التي يقتضيها الإلزام للعناصر الجوهرية الأصيلة للضمير، فيقول "**ميل**": "إنّني لا أرى حرج بالنسبة لأولئك الذين اتّخذوا من المنفعة معيارًا لهم"[3].

ويعترف "**ميل**" بأنّه ليس لهذا الجزاء أي الضمير وتأنيبه تأثير إلزامي على أولئك الذين لا يمتلكون المشاعر التي يناشدها هذا المقياس، غير أنّ مثل هؤلاء الأشخاص لن يكونوا أكثر طاعة لأي مبدأ أخلاقي آخر غير المبدأ النفعي، ولا يمكن لأي نوع من الأخلاق أن يسيطر عليها إلاّ بواسطة الجزاءات الخارجية أي العقوبات القانونية.

كما يستثني "**ميل**" أصحاب المشاعر الحيّة الذين جعلوا الجزاءات الخارجية مقياسًا ترتدّ إليه أفعالهم وقناعاتهم، وبافتراضنا أنّ هذا الشعور فطري بالواجب يستلزم "**ميل**" عدم صياغة أي سبب يمنعه من أن يكون شعورًا يهتم بالآخرين، " فإذا كان هنالك أي مبدأ أخلاقي يتّصف بالإلزام الخلقي فلا بدّ أن يكون هو هذا الشّعور، وهكذا تتّفق الأخلاق الحدسية مع أخلاق المنفعة، وسوف لا يوجد أي خلاف آخر بينهما، وحتى

---

[1] جون ستيوارت ميل: **أسس الليبرالية السياسية، مصدر سابق**، ص68.

[2] المصدر نفسه، ص69.

[3] المصدر نفسه، ص69.

في هذه الحالة"[1]، لأنّ الحدسيين يقرّون بوجود إلزامات حدسية تقتضي بمراعات إخواننا مع البشر، وهذا الإقرار بالمصدر المتعالي للإلـزام الأخـلاقي يمنح دعـمًا إضـافيًا للإلزام الباطني، وهكذا فإن مذهب المنفعة يكون قد استفاد من هذا الدعم سلفًا.

وعليه فإنّ "**ميل**" يعطي أهمية كبرى على الشّعور بالإلزام الخُلقي والواجب، لكنّه لا يقول بأنّ هذا الشعور يأتينا من مبدأ عقلي متعالي أو إلهام إلهي، بل يأتي كما رأينا نتيجة تشابك وتداخل العديد من المشاعر الطبيعية والمكتسبة.

المطلب الثاني: ارتبـــاط العـدالـــة بالمنفعـــة

يرى "**ميل**" أنّ العدالة تكمن في الصفات الآتية:

1. احترام الحقوق القانونية لأيّ شخص، يقول: "من العدل أن نحترم الحقوق القانونية لأيّ شخص ومن الظلم أن ننتهكها"[2].

2. الحق الأخلاقي؛ فالأخلاق المسلوبة لشخص معيّن ربّما لم تكن في الأصل حقًّا له، فتختلف بهذا الآراء، حيث يرى فريق أنّه لا يجوز للمواطن خرق القانون لأيّ سبب كان وفقًا للمصلحة العامة، ويرى فريق ثانٍ إمكانية عصيان قانون ناقص، في حين يرى فريق ثالث جواز عصيان القوانين الظالمة دون غيرها، بينما يذهب فريق آخر إلى إجماع على أنّ هناك قوانين ظالمة، وبهذا يغدو اتّخاذها معيارًا للعدالة يدين العدالة في الأخير، لأنّها قد تنتهك الحق الأخلاقي لأفراد أو جماعات في شيء يكون لها فيه حقًا أخلاقيًا.

3. فكرة الاستحقاق؛ بحيث يعتبر بصفة شاملة أنّه من العدل أن يحصل كل شخص على ما يستحقّه سواء كان خيرًا أو شرًّا، وأنّه من الظلم أن يحصل على خير ما أو يتحمّل شرًّا ما دام لا يستحقّه[3].

---

[1] جون ستيوارت ميل: **أسس الليبرالية السياسة، مصدر سابق** ، ص71.

[2] المصدر نفسه، ص87.

[3] نفسه، ص88.

4. إنّنا نعترف أنّه لمن الظلم أن نخلف وعدنا لأيّ أحد أي أن ننقض وعدنا سواء كان ذلك صراحة أو بصفة ضمنية[1]، وهذه الحالة لا ينظر إليها على أنّها حالة مطلقة بل كالتزام يمكن تجاوزه بالتزام آخر.

5. إنّ العدل هو باعتراف الجميع يتعارض مع الانحياز، بمعنى إبداء المحاباة أو تفضيل شخص على شخص آخر، ولا ينظر إلى التحيّز أو عدمه كواجب في ذاته، وإنّما كأداة لـواجب آخر، لأنّنا نسلّم بأنّ المحاباة والتفضيل ليسا دائمًا جديرين بالنّقد، وبالتالي فإنّ الحالات التي يقع فيها هذا السلوك هي استثناءات وليست قاعدة، "ويكون الشخص أكثر عُرضة لتوجيه اللّوم بدلاً من التشجيع عندما لا يعطي لعائلته أو لأصدقائه أيّ امتياز أكثر من الغرباء إذا ما تمكّن من تحقيق ذلك دون الإخلال بأي واجب آخر، ولا أحد يظنّ أنّه من الظلم أن نفضّل شخصًا معيّنًا على آخر لأنّه صديق أو قريب أو رفيق"[2].

إذن النّزاهة إلزامية فيما يتعلّق بمجال الحقوق ومنح كل ذي حقّ حقّه، "وباختصار النّزاهــة بوصفها أحد الالتزامــات التي تفرضها العدالــة قد تعنــي فحسب ممارســة الاعتبارات التي يفترض لها أنّها تؤثر في الحـالة قيد الدراســة، ومقاومة غوايــة أيــة دوافع قد تؤدي إلى سلوك يختلف عمّا تمليه هذه الاعتبارات"[3]، ومن العناصر التي تكوّن مفهوم العدالة وترتبط بالنّزاهة ارتباطًا وثيقًا: المساواة، بل إنّها بنظر الكثير تشكّل ماهية العدالة، "غير أنّ فكرة العدالة تختلف في هذه الحالة، وربّما اختلفت أكثر في حالة أخرى باختلاف الأشخاص، وهي باستمرار في اختلافاتها مع اختلاف فكرتهم عن النّفع، فكل شخص يؤكد أنّ المساواة هي مسألة عدالة، فيما عدا تلك الحالات التي يعتقد أنّ المنفعة فيها تقتضي اللامساواة"[4]، فالعدالة في توفير حماية

---

[1] جون ستيوارت ميل: **النفعية، مصدر سابق**، ص91.

[2] المصدر نفسه، ص92.

[3] جون ستيوارت ميل: **أسس الليبرالية السياسية، مصدر سابق**، ص90.

[4] المصدر نفسه، ص90.

متساوية لحقوق الجميع، فحتّى في بلدان العبودية يتساوى العبد مع السّيد في الحقوق، والمحكمة التي لا تنفذ القانون تفتقر إلى العدالة.
وبهذا فـ"**ميل**" يرى أنّ العنصرين الرئيسيين المكوّنين لشعور العدالة هما: الرّغبة في معاقبة شخص قام بفعل ضار، والعلم أو الإيمان بأنّ الأذى قد لحق بفرد أو بمجموعة من الأفراد، والرّغبة الأولى تنشأ تلقائيًا من شعورين طبيعيين هما: الدفاع عن النفس، والشّعور بالتعاطف، وهما وجدانات حيوانية عامة، ويتميّز البشر عن الحيوانات الأخرى بخاصتين: المشاركة الوجدانية وامتلاكه للفكر الذي يوسع آفاق التعاطف فيما بينها، والتي بها يدرك وحدة المصالح بين المجتمع الذي يعيش فيه[1].
إنّ فكرة العدالة عند "**ميل**" تفترض أمرين: أولهما قاعدة للسلوك، وثانيهما شعور بقبول تلك القواعد، فالأول يتشارك فيه الناس جميعًا، وهو يهدف إلى خيرهم المشترك، والثاني يتمثّل في الرّغبة في فرض العقاب على من انتهك تلك القواعد، وفكرة الحق تنشأ عن قوة القانون أو التربية أو الرأي العام، فإذا انتهك حقّ شخص ما، نعتبر ذلك زعمًا مشروعًا ناشئًا عمّا سبق، ويضمن له المجتمع حقّه المسلوب، والعكس حينما لا نعتقد أنّ طلبه لا ينتمي إليه عن طريق الحق، فإنّه " ليس من واجب المجتمع أن يتّخذ الخطوات اللّازمة لكي يضمن له هذا الشيء، وإنّما لابدّ أن نتركه وشأنه بحيث يعتمد على جهوده الشخصية"[2].
وبهذا يتّضح عند "**ميل**" أنّ العدالة هي لازمة لمتطلبات أخلاقية تصبح مجتمعة في المنزلة الأعلى لميزان المنفعة الاجتماعية، وتمثّل إلزامًا يفوق أيّ إلزام آخر إلاّ في حالات جزئية تتطلّبها الواجبات الاجتماعية.
نجد أنّ "**ميل**" يرفض التّعارض المزعوم بين المنفعة والعدالة بل إنّ العدل لا تفسير له إلاّ بالنّظر إلى المبادئ النفعية، وهو يسجّل هذا بوضوح في الفصل الخامس من كتاب "**المنفعة العامة**"، حيث يقرّر أنّه: "إذا كان من الواجب على المجتمع أن يدافع

---

[1] جون ستيوارت ميل: **أسس الليبرالية السياسية، مصدر سابق** ، ص96.
[2] المصدر نفسه ، ص99.

عن حقّ شخص معيّن في شيء ما، وإذا ما اعترض شخص على هذا وتساءل لماذا يتعيّن على المجتمع أن يدافع عن هذا الحق، فإنّني لا أجد إجابة أردّ بها على المعترض سوى أن أقول له: إنّ هذا هو ما تفرضه اعتبارات المنفعة العامة"[1].

وعليه تعتبر العدالة عند "**ميل**" هي الجزء الأساسي والأكثر قدسية وإلزامًا على الإطلاق ضمن الأخلاق كلّها، لكن ليس على أساس الحقّ المجرد، وإنّما ببساطة لأنّ مقتضيات العدالة تحتلّ أعلى درجات سلّم المنفعة الاجتماعية، ممّا يجعلها أكثر الواجبات قيمة.

<u>المبحث الثالث</u>: المجال الاقتصادي والسياسي الليبرالي لميل

باعتبار أنّ الليبرالية طريقة في التفكير تدور حول الإنسان والسياسة والاقتصاد فالليبرالية الاقتصادية ترتبط بالمدرسة الطبيعية (الفيزيوقراطية) التي تؤكد بأنّ النظام الطبيعي يتحقّق بمبادرات الفرد التي تحدث التوازن بين الأسعار والإنتاج، وبالتالي عدم تدخّل الدولة في شأن الاقتصاد، أمّا الليبرالية السياسية فهي تحكم الأفراد بشأن دولتهم وأنظمتهم السياسية بواسطة تنظيم الأحزاب، فالديمقراطية جزء من الليبرالية السياسية، وتلتقي هذه الأخيرة مع الاقتصاديين في الاهتمام بالفرد وحرّيته في آنٍ معًا على مستوى سياسي.

<u>المطلب الأول</u>: مبـــادئ الاقتصـــاد السياسي

استخدم "**ميل**" في كتابه "مبادئ الاقتصاد السياسي" المنطق الفلسفي ليرسم معالم نظرياته الاقتصادية، وما يميّز هذا الكتاب هو قدرة "**ميل**" على الجمع والتوفيق بين النظريات ورؤى عدد من المفكرين أمثال **آدم سميث**، و**ديفيد ريكاردو**، و**توماس مالتوس**، إضافة إلى تأثّره **بسان سيمون** و**برودون** و**فورييه**، ومن الواضح أنّ "**ميل**"

---

[1] أنطوني دي كرسبني، كينيث مينوج: **<u>أعلام الفلسفة السياسة المعاصرة</u>**، تر: نصّار عبد الله، منشورات الهيئة العامة المصرية للكتاب، مصر، 1996، ص135.

قد ارتكز في كتاب المبادئ على هؤلاء المفكرين لإبراز معالم نظريات اقتصادية ذات سمات تقدّمية واشتراكية[1].

فالليبرالية الاقتصادية ظهرت بعد أفكار "**آدم سميث**" الذي ركّز على الحرية المطلقة ونادى بحرية المنافسة، وأبرز ما نجده في هذا المجال النظام الرأسمالي الذي يطالب بحرية المال والتجارة والتعاقد دون تدخّل أو تقييد من الحكومة أو الدولة، وحرية ممارسة أي مهنة أو أي نشاط تحت شعاره الشهير "دعه يعمل، اتركه يمر"، وركّز أيضًا على أهمية التجارة الخارجية الحرّة لزيادة الثروة لجميع الدول المتاجرة، وحسب ما يرى فإنّ المنفعة المشتركة للتجارة تقوم على أساس الميزة المطلقة*.

تطـرّق "**ميل**" من خلال كتابه "**مبــادئ الاقتصــاد السياســي**" إلى التجارة الدولية، وكان لها الدور الكبير في تحليل قانون النفقات النسبية في علاقته بنسبة التبادل الدولي، التي لم يتعرّض لها **ريكاردو** في تحليله، وإنّما هو أوضح الحد الأدنى والأعلى لمنطقة التبادل، لكنّه لم يحدّد الكيفية التي تتحدّد بها نسبة التبادل الدولي ولا الكيفية التي تتوزّع بها فوائد تقسيم العمل بين الدولتين، وهذا ماتناوله "**ميل**" في نظرية القيم الدولية أي جاء مكمّل لنظرية ريكاردو في الميزة النسبية.

وحسب رأي "**ميل**" فإنّ نسبة التبادل ستقع داخل الحدود التي تقرّرها التكاليف النسبية في الدولتين، وتتحدّد بالطلب المتبادل للدولتين، وقد أوضح أنّ القيمة الدولية للسلعة تتحدّد عند المستوى الذي يحقّق التعامل في الطلب المتبادل، ويرى "**ميل**" أنّه يوجد معدل فريد بين المعدلات الممكنة الذي يقع بين معدل التبادل الأدنى والأقصى،

---

[1] ابراهيم العريس: <u>**مبادئ الاقتصاد السياسي لستيوارت ميل: يوم تنضب الثروات**</u>، الحياة، 2016/4/13، في https:// googl/qCWgFj

* **الميزة المطلقة:** تعني أنّه بإمكان بلد أو شركة ما إنتاج سلعة أو منتج أو خدمة بكميات أكبر من جميع المنافسين بنفس الموارد.

ويحقّق التعادل بين قيمة الواردات وقيمة الصادرات للبلدان باعتبار أن صادرات البلد الأول هي واردات البلد الثاني، وأنّ أي معدل آخر غير هذا يؤدي إلى الاختلاف بينهما، فيقع أحد البلدان في فائض والآخر في عجز، وحسب "**ميل**" فإنّ توزيع النّفع يتوقف على عاملين أساسيين هما: حجم الطلب المتبادل في كلتا الدولتين، ومرونة هذا الطلب[1].

ربط "**ميل**" بين فكرة التّقدم وزيادة تكامل الجنس البشري بمبدأ التّجارة الحرّة، فالتجارة حسبه تعمل بسرعة على أن تكون الحرب مهملة وبعيدة عن الوقوع، عن طريق تقوية ومضاعفة المصالح الشخصية التي هي في تعارض طبيعي مع الحرب، ويضيف قائلاً: "أنّ أكبر درجة وأسرع زيادة في التجارة الدولية هي الضمان الأساسي للسّلم في العالم، إنّها أكبر أمان دائم للتّطور المستمر للأفكار، المؤسسات، وخصائص أو ميزات الجنس البشري"[2].

يعتقد "**ميل**" أنّ قوانين الإنتاج ثابتة ومحدّدة بالضرورة، أمّا عمليات التوزيع فإنّها تخضع بصورة كبيرة للضبط الاجتماعي، وهو يؤمن بحرية المنافسة والتجارة الحرّة، ومن الإمكان وجود تحسن طفيف لأحوال الطبقات العاملة عن طريق تحديد نسبة المواليد والهجرة، وكان يرغب في فرض ضرائب على الزيادات الطارئة في سعر الأراضي، ويتطلّع إلى وقت يعمل فيه كل شخص ولا يعيش أحد بدون عمل، واعتقد أنّ الاشتراكية جديرة بالتقدير، حيث تعاطف مع مثلها العليا[3]، لكنّه شكّك في إمكانية أن نحدّد المكافئات تبعًا للدّرجات المختلفة للكفاية الإنتاجية ما عدا المكافئات التي

---

[1] مجدي علي محمد غيث: **نظرية هكشر أولين في التجارة الخارجية في ضوء الفكر الاقتصادي الاسلامي**، مجلة دراسات في علوم الشريعة والقانون، من إصدارات الجامعة الأردنية، الأردن، مج 41، ملحق 2، 2014، ص873.

[2] محمد الطاهر عديلة: **تطور الحقل النظري للعلاقات الدولية**، رسالة دكتوراه في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، كلية الحقوق والعلوم السياسية، قسم العلوم السياسية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2014، ص159.

[3] وليم كلي رايت: **تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سابق**، ص426.

تنجم عن المنافسة، وبالتالي أصبحت آراؤه الاقتصادية في فترة من الفترات أكثر ليبرالية ممّا كانت عليه في البداية.

<u>المطلب الثاني</u>: الحريـــة والحكومـــة النيابيـــة

1.الحرية:

يعدّ مؤلف "**ميل**" 'عن الحرية' من أكثر المؤلفات التي أثّرت في الفكر الأوروبي والعربي على حدّ سواء في موضوع الحرية، فإنّه عن ماهيتها: " الحريّة الوحيدة التي تستحقّ الاسم هي تلك القائلة بسعينا وراء مصلحتنا الخاصة طالما كنّا لا نحاول أن نحرم الآخرين من حقوقهم، أو نعرقل جهودهم في الحصول عليها"[1]، وحين تحدّث عن الفعل الذي يمنع قصره على الفعل المنتج للشّر والإضرار بالآخرين، قال: "إنّ الجزء الوحيد من سلوك أي فرد، والذي يطيع فيه للمجتمع، هو ذلك الذي يتعلّق بالآخرين، أمّا الجزء الذي يخصّه هو فقط، فإنّ استقلاله مطلق بحق، إنّ الفرد سيّد على نفسه وعلى جسده وعقله"[2]، أي أنّه حسب "**ميل**" يجب أن يكون للفرد السيادة المطلقة على نفسه وجسده وعقله، فالمبرّر الوحيد لوجود السلطة في الليبرالية هو منع الضرر عن الفـرد، فهي ترفض أي مبرّر لتدخل الدولـة في شؤون الأفـراد حتى ولو ادّعت أنّهـا تريد بذلك تحقيق مصلحة لهم، ذلك أنّ الليبرالية تعتقد أنّ الفرد يعرف مصالحه بأفضل ممّا تعرفها الدولة، وأنّ الأفراد يمكنهم تحقيق منفعتهم بصورة أفضل ممّا لو حدث أي تدخّل يحدّ من حرّيتهم، وبالتالي فهو لم يجعل حدًّا للحرية الشخصية إلاّ إرادة الإنسان فقط، ولم يعتبر أي محدّد آخر، لأنّه يهدف أساسًا إلى الدفاع عن الفرد ضدّ الدولة والمجتمع.

وقد بدا "**ميل**" في كتابه 'عن الحرية' معنيًا بالحرية المدنية والسياسية والفكرية إلى جانب حدود حرية الفرد أمام سلطة المجتمع، لا بالحرية الأخلاقية أو حريّة الإرادة

---

[1] جون ستيوارت ميل: **عن الحرية، مصدر سابق**، ص20.

[2] المصدر نفسه، ص15.

وصلتها بالقانون[1]. فهنا يهدف إلى الحرية بمعناها المدني أو الاجتماعي وإلى طبيعة وحدود السلطة التي تمارسها بكيفية مشروعة من طرف المجتمع على الفرد.

يرى "**ميل**" بالنسبة لحرية الفكر والمناقشة، أنّه يأمل أن يرى النّاس يسلّمون بحرية الصحافة ضمانًا ضروريًا لحماية الشّعب من ظلم الحكومات وفسادها، حتى لا يجد ضرورة لتأييدها وتوكيد قيمتها، إذ ليس من حقّ هيئة تشريعية أو تنفيدية أن تفرض على النّاس اعتناق رأي لا يرضون به، أو توجّب عليهم الإيمان بمعتقد لا يريدونه.

ويذهب "**ميل**" إلى أنّ الفلسفة الليبرالية في الإعلام تقوم بتزويد الجماهير بالحقائق المجرّدة بهدف بناء عقولهم بناءً سليمًا بصورة طبيعية، وأنّ المعلومات التي يجب أن تتناولها أجهزة الإعلام يجب أن تتّسم بالموضوعية، كما أنّ الفرد في ظلّ الفلسفة الليبرالية يجب أن يتمتّع بحرية مطلقة، فـ"**ميل**" أكّد على الحرية المطلقة للإنسان الذي يستطيع أن يفعل ما يحلو له وليس لأحد التّدخل في شؤونه وحياته، قائلا: "إنّ البشر لو اجتمعوا على رأي وخالفهم في ذلك رأيُ فرد واحد، لما كان لهم أن يسكتوه بالمقدار الذي لا يجوز لهذا الفرد إسكاتهم حتّى ولو كانت له القوّة والسلطة"[2].

إنّ الوجود الحر للفردية عنصر من العناصر الجوهرية في الخير البشري عند "**ميــل**"، وتقوم الحرية الفردية على احترام الكرامة الإنسانية، واستقلالية الذات والخصوصية وتطوير الذات، فالنمو الحر للفردية كعنصر من عناصر الخير البشري شرط ضروري لكلّ تقدّم في المدنية والتعليم والتربية والثقافة، بل لكلّ أشكال الحياة الجيّدة والرفاه، فـ"**ميل**" دافع عن حرية الصحافة وحرية الكلام، لأنّه رأى أنّ هذه الحريات صفات مرغوبة، وهذه الفضائل هي أيضًا مهمة للعقلانية وللبحث عن الحقيقة، فالنّقاش الحر في الساحة العمومية من دون عقبات داخلية وخارجية هو شرط إمكانية وصولنا إلى وجهات نظر معقولة ومقبولة.

---

[1] جون ستيوارت ميل: **عن الحرية، مصدر سابق**، ص5.

[2] نادية جاسم كاظم الشّمري: **الديمقراطية والليبرالية والعلمانية في الفكر الغربي**، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، مج 6، ع 4، إصدار خاص بالمؤتمر الوطني للعلوم والآداب، 2016، ص357.

إنّ فكرة الرأي العام كانت مسألة غامضة عند "**ميل**"، فمن جهة يمكن أن يظهر الرأي العام مجبرًا وقمعيًا لوجهات نظر تدعمها مجموعات من الأقليات، ومن جهة أخرى افترض "**ميل**" أنّ بالإمكان تشكيل الرأي العام وتحسينه عن طريق النقاش الحر بين أفراد متعقّلين، وقد يؤدي هذا النقاش العام إلى نتيجة مفادها أنّ بالإمكان تصحيح الأهواء والأخطاء مادامت المناقشة مفتوحة وحرّة[1].

فالنّقاش قد يفيد في تنوير آراء مختلفة، حتّى ولو لم يُؤدي بنا إلى حقيقة واحدة، فلكي تظهر الحقيقة بشكل جيّد، ونحصل جميعنا على أحسن رؤية ممكنة عمّا نفكّر فيه، فإنّه ينبغي إجراء نقاشٍ عامٍ حرّ، فحرية الكلام والتّعبير أمران ضروريان للنّقاش المفتوح، وهذا الأخير ضروري للتّقدم البشري، وعليه يمكننا القول إنّ التّحرر شرط العقلانية.

ثمّ يتحدث "**ميل**" عن الحدود التي تقف عندها سلطة المجتمع على الفرد، فينتهي إلى القول بأنّ ما يهم الفرد وحده يكون من حقّه، وما يهم المجتمع خاصة يكون من حقّ المجتمع، والفرد لا يكون مسؤولاً أمام المجتمع عن أفعاله طالما كانت هذه الأفعال لا تمسّ مصالح أحد سواه، وأنّ المجتمع لا يملك غير النصح والإرشاد والإقناع والمقاطعة عند الضرورة، فهي طريقة يعبّر بها عن بغضه أو عدم رضائه عن سلوك فرد ما، كما أنّ الفرد يسأل أمام المجتمع عن سلوكه متى كان فيه ما يضرّ مصالح الآخرين، وعندئذٍ يستحقّ عقاب المجتمع عقابًا اجتماعيًا أو قانونيًا حتّى يكفل المجتمع حماية مصالحه[2].

2.الحكومات النيابية

إنّ كتاب "**ميل**" 'بحث في الحكومة النيابية' ليس محاولة لوصف المجتمع الأكمل أو نظام الحكم الكامل، بل إنّ الأمر على العكس من ذلك، حيث إنّ اهتمام "**ميل**"

---

[1] غُناز سكيربك، نِلز غيلجي: **تاريخ الفكر الغربي من اليونان القديمة إلى القرن العشرين**، تر: حيدر حاج اسماعيل، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت، 2012، ص562.

[2] فريال حسن خليفة: **تصورات الحرية في تاريخ الفلسفة**، دار الفكر العربي، ط1، القاهرة، 2016، ص143.

انصبّ على أداة الحكم ببريطانيا في منتصف القرن التاسع عشر، وتركّزت عنايته على مسألة أفضل التدابير التي من شأنها أن تيسّر للمجتمع مهمة تحقيق الأهداف التي أوردها في بحثه كأهداف مثالية لأيّ مجتمع، وهي الأهداف المنطوية على تطوير الفضيلة والعقل في الشّعب، أمّا نوع الحكم الذي يكون أشدّ ملاءمة لتحقيق ذلك الغرض فإنّه يختلف بحكم الضرورة بين مجتمع وآخر، بالنسبة لمدى تطور المواطنين.

ورأى "**ميل**" أنّ نظام الحكم النيابي هو أفضل الأنظمة لتنمية مصالح الشّعب والدّفع بها إلى الأمام، على أن يعمل نظام الحكم النيابي على صياغة حقوق جميع مكوّنات المجتمع[1].

ويبيّن "**ميل**" كذلك في كتابه "**الحكومة النيابية**" بعض الأخطار التي يجب أن تحاربها الديمقراطية، وعلى الرغم من أنّه يفضّل مد حقّ التّصويت إلى كل المواطنين المتعلّمين، فإنّه يتوقّع الشّرور التي تترتّب في واقع الأمر على ذلك، "إنّه يتخوّف من السلبيات التي تواجه الديمقراطية، فاقترح تأليف هيئة خبراء تفهم بالقانون تشرف على إصدار اللّوائح القانونية قبل إقرارها في البرلمان"[2]، كما عارض الإقتراع السرّي، وأيّد فكرة التمثيل النسبي حتّى لا تخرج الأقليات السياسية والمرأة من المعادلة.

يعبّر "**ميل**" فيقول: "إنّ غرض الدولة هو تنمية فضيلة الشّعب وذكائه، لذلك فإنّ المقياس الصحيح الأول لمعرفة مدى ملاءمة أي مؤسسة هو الدّرجة التي تتّجه بها نحو تربية وتغذية الصفات العديدة المرغوب فيها، من خلقية وعقلية في أفراد المجتمع، فالحكومـة التي تعمل على هذا الوجه الأحسن من المحتمل كثيرًا أن تكون الأحسـن أيضًا في سـائر النواحي، حيث كل إمكانيـات الجـودة في إدارة الحكـومــة العملية تعتمد على أساس تلك الصفات مادامت موجودة في الشّعب"[3].

---

[1] جون ستيوارت ميل: **الحكومات البرلمانية، مصدر سابق**، ص25.

[2] المصدر نفسه، ص13.

[3] نفسه، ص27.

يرى "**ميل**" أنّ لا بدّ من توسيع حقّ الانتخاب وتوفير أكبر الفرص للشّعب للقيام بالأعمال الإدارية والقضائية، في إطار الخطر الذي تتعرّض له الحكومة، فالخطر الأول يكمن في إمكانية سيطرة الجهل وعدم الكفاءة على الحكومة، بينما الخطر الثاني يكمن في إمكانية وقوع الحكومة تحت سيطرة مصالح خاصة.

كان "**ميل**" قلقًا بشأن مسألة اعتداء الأكثريات الاستبدادية على حقوق الأقليات، وهو يعتبر أنّ الأكثرية والأقليات تكون بشكل عام دائمية أكثر منها تنقّل الأشخاص بين آنٍ وآخر في الانتماء والاتجاه، فقد يكونون متّفقين فيما بينهم بشأن أمر ما، ثم يتجمّعون من جديد في كتل متباينة بشأن أمور أخرى[1].

ويعتبر "**ميل**" أنّ الانتخاب لا يكون حقاً إلاّ في المعنى القانوني، ويصرّ أنّ الاقتراع واجب على الفرد نحو المجتمع، ونظرًا لأنّه واجب فمن الضروري أن يتمّ علانية وليس عن طريق السريّة في الاقتراع.

ناقش "**ميل**" موضوع الدولة الفديرالية واتّخذ من الو.م.أ نموذجًا لبحثه، ورأى أن ترتكز سلطة الحكومة المركزية الوطنية وكذلك سلطات الأقسام في أنحاء الدولة، مباشرة على الشّعب، كما أبرز ضرورة وجود بعض القوّة التحكيمية، مثل المحكمة العليا في الو.م.أ لتسوية النزاعات التي تنشأ بين الحكومة المركزية والأقسام أو بين فريقين أو أكثر من الأقسام التي تُشكّل منها الدولة الفديرالية.

المطلب الثالث: المــرأة فــي منظــور ميــل.

لقد كان موضوع المرأة مصدر اهتمام العديد من الفلاسفة باعتبارها عنصر فعّال ومهم داخل الأسرة، ومن بين الفلاسفة الذين تناولوا موضوع المرأة نجد "**ميل**" الذي تناول بإسهاب حرية المرأة وإعطائها كامل حقوقها، فنجده يعترف منذ البداية في كتابه "**إخضاع النساء**" صعوبة مناقشة قضية المرأة أو الحديث عنها، فهي تتلخّص في إدانة المبدأ الذي ينظّم العلاقات الاجتماعية القائمة بين الجنسين، والكشف عن أنّه مبدأ فاسد من جذوره، لأنّه يقوم على أساس تبعية أحد الجنسين

---

[1] جون ستيوارت ميل: **الحكومات البرلمانية، مصدر سابق**، ص31.

"النســاء" للجنس الآخر "الرجــال"، وهو مبدأ يجب هدمـــه ليحـلّ محلّه مبدأ المساواة الكاملة التي لا تسمح بوجود ميزة لجانب على آخر، يقول في مقدّمة كتابه: " المبدأ الذي ينظّم العلاقات الاجتماعية بين الجنسين (الذكور والإناث) ويجعل خضوع أحد الجنسين للآخر عملاً مشروعًا، هو مبدأ خاطئ في ذاته، كما أنّه يمثّل عقبة أمام التقدّم البشري، ومن ثمّ ينبغي أن يزول ليحلّ محلّه المساواة التّامة، الذي لا يسمح بوجود سلطة أو ميزة لجانب على جانب آخر"[1].

فنظرة "**ميل**" حول المرأة تعدّ أول إيضاف ذكوري للمرأة، حيث دافع "**ميل**" عن حقوق المرأة وحقّها في العمل والانتخاب واحترامها ككيان مستقل بذاته، إذ يقول بهذا الصدد: " لا ينبغي النظر إلى قضية المرأة على أنّ الحكم قد صدر فيها مقدّمًا عن طريق الواقع القائم والرأي العام السائد، بل لا بدّ من فتحها للنقاش على أساس أنّها مسألة عدالة"[2].

وفي ضوء هذا ناضل "**ميل**" حتّى تستردّ المرأة حقوقها الاجتماعية والسياسية، فطالب المجتمع بأن يهيّئ لها أسباب التعليم والتربية التي تتاحُ للرجل، وأن يمكّنها من مشاركته في أعماله، ويمنح لها من حقوق الملكية ما يُمنح للرجل ويكفل لها حقوقها السياسية كاملة غير ناقصة، فهو طالب بحرية التّملك بالنسبة للمرأة وكان من أكثر المدافعين عنها، لدرجة أنّ كثير من النساء كانوا يساندونه وأغلبهم من مؤيديه، وكان يطالب بحقّ التصويت والتّرشيح للمرأة، لأنّها في تلك الفترة كانت مضطهدة ولم يكن لها لا حقّ التملّك ولا أي عقار أو ملكية أو أي دور آخر، بل دورها في انجلترا وقتها كان لخدمة بيتها وزوجها وأولادها، وكان "**ميل**" بهذا من أعظم الرّواد الذين مهّدوا الطريق إلى هذا التّحرر.

وعليه فإنّ "**ميل**" نظر إلى المرأة من منظور حقوق الفرد الكلية المستقلّة نسبيًا عن ممارساتهنّ البيولوجية الاجتماعية، وأكّد وفقا لنظرته إلى حقوق الفرد العامة أنّ

---

[1] جون ستيوارت ميل: **استعباد النساء، مصدر سابق**، ص11.

[2] المصدر نفسه، ص24.

للنساء الحقّ في الاختيار بين الأمومة والمهنة، ومثل حرية الاختيار هذه يشملها مفهوم "**ميل**" للحقوق السياسية والاقتصادية الكلية، أمّا بالنسبة إلى النساء اللّواتي يخترن الأمومة، فقد رأى "**ميل**" أنّ أدوارهنّ العملية في الأسرة ثابتة كما كانت تفهم في زمانه، فهو لم يتصوّر تغيّرًا في الأدوار الأسروية التقليدية، مثل هذه الأفكار التغييرية تنتمي إلى زماننا[1].

يدعو "**ميل**" إلى إقناع المرأة وحثّها على المطالبة بتركيز قدر من الحرية والمساواة، وإذا كانت هناك مجموعة من النساء الطيّبات يعتقدن أنّهنّ سعداء على نحو ما هنّ عليه، فإنّ علينا توعيتهنّ بأنّ هذه سعادة زائفة، وأنّ عليهنّ أن يطمحن إلى سعادة أفضل وإلى حياة أرقى، تنبعث من احترام الذّات وتنبع من الشخصية المستقلّة.

[1] غُناز سكيربك، نِلز غيلجي، **مرجع سابق**، ص564.

خلاصـــــــة:

من خلال ما سبق نستنتج أنّ ليبرالية "**جون ستيوارت ميل**" ترتكز على أفكاره السياسية والاقتصادية والأخلاقية والاجتماعية، فالتّصور الليبرالي عنده يكمن في النزعة الفردية وإزاحة القيود والمعوقات من أمام الفرد، إضافة إلى اقتراحه للحكومة كأساس لديمقراطية حقيقية لا تضطهد فيها الأقليات وحقّ التصويت العام بما في ذلك حقّ التصويت للمرأة بناءً على المساواة بين الجنسين وإنشاء المؤسسات المدنية، وفي المجال الأخلاقي عدّل نفعية "**بنتام**"، حيث إعتمد على الشّعار الأساسي في النفعية "أكبر قدر من السّعادة لأكبر عدد من الأفراد"، فمن خلاله رسّخ مبدأ العدالة والنّزاهة والإلزام الخلقي في الجانب الأخلاقي والاجتماعي.

فكتابه "عن الحرية" دافع فيه عن الحريات الاجتماعية أو الحرّيات الليبرالية الأساسية وحدود السلطة التي يحقّ للمجتمع ممارستها على الفرد، كما يتّخذ من مبدأ المنفعة أساسًا أخلاقيًا لبناء الحرية.

الفصل الثالث: تقييم عام للنظريـة الليبراليـة عند ميل.

المبحث الأول: مآثر الليبرالية لدى ميل.

المطلب الأول: في المرأة والحرية.

المطلب الثاني: في الاقتصاد والحكم النيابي.

المبحث الثاني: مآخــذ ليبراليــة ميـل.

المطلب الأول: النقد الموجّه لنفعية ميل.

المطلب الثاني: الاعتراض الموجّه لنظرية المرأة والحرية لدى ميل.

المبحث الثالث: مكانة النظريــة الليبراليــة لميل عند بعض معاصريه.

المطلب الأول: تأثيره في بعض فلاسفة الغرب.

المطلب الثاني: تأثيره في بعض المفكرين العرب.

تمـهـيـــــــد:

إنّ الليبرالية بوصفها أهم ما يميّز الفلسفة المعاصرة، فإنّها قد أخذت نصيبها الأكبر من البحث، باعتبارها مشكلة لازالت قائمة إلى ما بعد "**ميل**"، وما يميّز ليبرالية هذا الأخير من خلال أفكاره التي تمّ عرضها سابقًا، هو الأثر الذي نلتمس من خلاله تأثّر بعض الفلاسفة المعاصرين الذين جاؤوا بعده، وفي هذا الفصل سيتمّ عرض أهم المآثر التي لُوحظت على ليبراليته والانتقادات التي وُجّهت إليه في تصوّره لليبرالية، والاستعانة أو الاستئناس بتصوّرات وانتقادات فلسفية، كما سيتمّ التطرّق إلى مكانة أو عالمية "**ميل**" حول الليبرالية وأثرها على الفكر الغربي والعربي المعاصر، لذا فإنّه من غير الممكن التّوقف عند كل محطة والأخذ بكلّ فلسفاتها التي أثنت عليه وانتقدته، وعليه يكفي أن يتمّ تناول بعض النماذج المهمّة التي تأثّرت بـ"**ميل**"، والتي وُجدت فيها المادة المعرفية.

<u>المبحث الأول:</u> مآثـــر الليبراليـــة لـــدى ميـــل.

باعتبار أنّ "**ميل**" كان رائدًا من رواد الفلسفة التجريبية، فإنّه حاول البحث في فروع الفلسفة والأخلاق والاقتصاد مع المناهج العلمية، حيث أعطى أهمية كبيرة من خلال كتابه "الحرية" الذي كتبه بالاشتراك مع زوجته "**هاريت تايلور**"، الذي يعدّ أحد أعمدة الفلسفة السياسية الليبرالية والفلسفة السياسية عمومًا، إلاّ أنّ لـ "**ميل**" كتاب آخر لا يقل عنه أهمية وهو كتابه الراديكالي "خضوع النساء" أو "استعباد النساء" وهذا الأخير يعدّ العمل الكلاسيكي المؤسس للنسوية الليبرالية، وفيما يلي عرض لأهم المآثر التي تسجّل على فكره الليبرالي.

<u>المطلب الأول</u>: في المرأة والحرية.

1. في المرأة:

لقد مدّ "**ميل**" أفكار أسلافه الليبراليين لأقصى مداها متجاوزًا رجعيتهم أحيانًا وطموحاتهم المتواضعة أحيانًا أخرى، مصرّحًا بأنّ المبدأ الذي ينظّم العلاقات الاجتماعية بين الجنسين أو الإخضاع القانوني لجنس لصالح الآخر مخطئ في ذاته، وهو يشكّل أحد العوائق الرئيسية التي تحول دون تقدّم البشرية، ويتعيّن أن يستعاض عنه بمبدأ المساواة الكاملة[1]، وبهذا فإنّ من الإيجابيات التي تُسجّل على أفكار "**ميل**" هي:

أنّ جهود "**ميل**" لم تذهب هباءً منثورًا، "فقد تأسّس تيار مناصر لأفكاره نجح في استمالة الرأي العام الانجليزي، وتمخّض عن ذلك موافقة مجلس العموم البريطاني على حق التمثيل النيابي للنساء سنة 1867، ومنحت المرأة حق الانتخاب في قانون إصلاح البلديات الذي صدر سنة 1869، وأعطيت حق التصويت في انتخاب أعضاء مجالس التعليم وحريّة التصرّف في ممتلكاتها سنة 1870، بالإضافة إلى انتخاب أعضاء مجالس الأقاليم سنة 1888، وفي سنة 1895 سُنّ قانون الطلاق

---

[1] أمين حمزاوي: <u>الجذور الليبرالية للفلسفة النسوية</u>، 19 ديسمبر 2019، الجمهورية، متاح على الرابط: https://www.aljumhuriya.net/ar/content

الذي جعل من حقّ النساء طلب الانفصال عن أزواجهن، وفي سنة 1894 صدرت قوانين تشريعية جديدة أنهت كل أثر لتفضيل جنس على آخر في مسائل الانتخاب"[1]، كما ظهر تأثير الكفاح النسوي البريطاني في القارة الأوروبية واضحًا للعيان، ففي بدايات القرن العشرين اتّجه التشريع إلى ناحية العمل على استقلال المرأة بذمّتها المالية ومساواتها بالرجل، وتمّ إلغاء القوانين التي تتعامل مع المرأة كإنسان قاصر وناقص الأهلية في جميع الدول الإسكندنافية[2]، وبهذا فإنّ كتاب "استعباد النساء" احتل مكانة مرموقة في الأدبيات النسوية الكلاسيكية، حيث حاول "**ميل**" تفسير الأصول التاريخية والاجتماعية لاستعباد النساء ونقد بشكل جذري إدّعاءات حول اختلاف طبيعة المرأة عندما كانت في عبودية تامة التي جعلتها في الرأي الشائع غير مؤهلة لنيل حقوقها كاملة أو تولّي أدوار ووظائف معيّنة.

2. في الحرية:

بفضل آراء "**ميل**" وصلت الليبرالية الإنجليزية إلى ذروة نضجها الفكري، وهو نضج تمثّل في الحدّ من دور المكانة الاجتماعية والثروة والجنس (العرق) في الحياة السياسية، تطبيقًا بالطبع لمبدأ المساواة الكاملة بين البشر، وقد كانت النتيجة المباشرة لأفكار "**ميل**" هي نقل مركز الثقل والتأثير إلى الشعب مع ما يتبع ذلك من استمتاع الجميع بالحرية والمساواة، وفي نفس الوقت فإنّ الحريات الجديدة المتزايدة اتجهت إلى التقليل من شأن السلطة الأخلاقية سواء تلك التي يمارسها رجال الدّين أو تلك التي يفرضها الرأي العام أو حتّى الآباء باعتبارها جميعًا مؤسسات تمارس أحكامًا سلطوية تُقنّن السلوك الفردي[3].

من خلال ما عرضه "**ميل**" في الحرية فإنّه نظّر لها باعتبارها أهم الحقوق الإنسانية، ولذلك فإنّه من الضروري حماية وصيانة الحريات الإنسانية والحفاظ على استقلالية

---

[1] زكريا محمد علي: **إيديولوجيا الحركات النسوية**، 2014/09/14، 15:22، متاح على الرابط: https://www.sasapost.com/opinion/ideological-feminism/

[2] زكريا محمد ابراهيم، **موقع سابق.**

[3] ضحى عبد الغفار المغازي: **دورة حياة مشروع الشرق الأوسط الكبير تجربة أنثروبولوجية إعلامية مصرية**، ج1، أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي، ط1، مصر، 2018، ص175.

الأفراد وخاصة حرية التعبير والفكر والعقيدة، مع وجوب وضع حدود لعدم انتهاك هذه الحرّيات سواء من قبل الحكومات أو المجتمع، فحين تحدّث "**ميل**" عن أهم الحقوق والحريات، ذكر حرية الفكر والمناقشة وحرية التعبير وبيّن كيف أنّها تعدّ من أهم الحريات نظرًا لدورها في الإزدهار العقلي للإنسان وتطورها، فمن وجهة نظر الباحثة فإنّها تُوافق "**ميل**" فيما ذهب إليه كون أنّ من خلال حرية الفكر والمناقشة والجدال نكون قادرين على تصحيح الأخطاء، فالطريقة الوحيدة التي يستطيع الإنسان من خلالها أن يحقّق بعض التقدّم في معرفة موضوع ما، هي أن يبقى عقله مفتوحًا للنقد الموجّه لآرائه وسلوكه.

كما أنّ من الإيجابيات التي لوحظت على أفكار "**ميل**" باعتباره أحد أهم العقول في عصره، هي أنّ "تفكيره تطور من مذهب المنفعة الكلاسيكي إلى مراجعات أكثر اكتمالاً للنفعية، حيث تقدّم أطروحات تجيب على الأسئلة الكبرى الكلاسيكية حول الحكم الصالح والتمثيل السياسي، وهي إجابات ذات تأثير كبير على النظريات السياسية اللاحقة، بحيث ساهمت في بناء مفهوم عام عن الإنسان بكونه قادرًا على إنجاز تنمية متناسقة متأسّسة على مجتمع حر ومتعلّم"[1].

إنّ الحرية الشخصية التي نادى بها "**ميل**" في مذهبه الليبرالي جعلها مرادفة للحقيقة، فإنّه لا حقيقة دون حرية بل تعتبر عنده الصراع من أجل المساواة والتّحرر، كما جعل الحكومة التمثيلية هي الظل الذي يلجأ إليه الأقليات المضطهدة في ظلّ الأغلبية المتسلّطة، فالديمقراطية الصحيحة هي الديمقراطية الممثّلة من قبل الكل، لأنّه تماشيًا مع الظروف العصيبة سيُدعى الكل إلى الانضمام والمشاركة ضمن فريق واحد حين يتهدّد بلدهم بالمخاطر، إضافة إلى أنّه جعل حرية التعبير عن الرأي وقداسة حقوق الفرد فوق كل اعتبار، ومن مسؤولية السلطة تهيئة السبل الكفيلة بصيانتها وضمانها.

---

[1] بابلو سيمون: **الديمقراطية عند جون ستيوارت ميل**، تر: مصطفى أبو شمس، ياسين السويحة، الجمهورية، 2014/07/08، متاح على الرابط: https://www.aljumhuriya.net/ar/29588

وعليه فالنقاط الأساسية المهمة في فكر "**ميل**" هي الحرية والديمقراطية، والدليل على ذلك أنّ بعض أفكاره مازالت قيد الاستخدام ولو بشكل غير مباشر في المجال السياسي المعاصر، فهو كان متيّمًا بالحرية ومدافعًا لها ومؤمن بأنّها حق طبيعي يخصّ الفرد بحيث فُطر عليه، وبذلك تعدّ الحرية ملكًا لجميع الناس وهي في نظر "**ميل**" مؤسسة للحضارة، وهذه الأخيرة تنطفئ شعلتها عندما تغرب الحرية.

إنّ التحول الذي أدخله "**ميل**" إلى المفهوم الليبرالي للحرية الفردية شكّل قاعدة لإعادة تأهيل جزئية للديمقراطية ببعدها الأخلاقي كالمجتمع الذي يصبو للخير العام ولسعادة الجميع، مجتمع يسمح بتنمية أفضل لطاقة كل فرد، من خلال احترام المساواة في الفرص ومبدأ الديمقراطية القائمة على الكفاءة بشرط إعادة تعريف الحرية ليس على أنّها حق مجرد وإنّما على أنّها العنصر الأساسي للوصول إلى السعادة وبهدف تحقيق الذات، والفردية على أنّها تحقيق لإجتماعية الفرد، وتصبح الديمقراطية بذلك النظام الأنسب لتحقيق القيم الليبرالية والتعبير عنها[1]، إذًا فالفكر الاجتماعي لـ"**ميل**" وانسجامه مع الاشتراكية في آخر حياته، ومدافعته عن الحركة التعاونية، سيحدث تأثيرًا بالغًا على الليبراليين الجدد، حيث تثبت كتابات "**ميل**" الأثر البارز في تطور الاشتراكية وبضرورة إيجاد ليبرالية جديدة أكثر اجتماعية وأكثر وعيًا لضرورات التضامن والعدالة والمساواة في عالم متغيّر.

<u>المطلب الثاني:</u> في الاقتصاد والحكم النيابي.

1. في الاقتصاد:

نرى أنّ أفكار "**ميل**" حول اقتصاد السوق الحر السياسي والمرافعة عن محدودية تدخّل الحكومة في شؤون السوق مقدّمة للفكر الليبرالي الاقتصادي الكلاسيكي، ففي هذا يجب على النظام القانوني أن يتيح أكبر قدر ممكن من الحرية للمواطنين بشكل أساسي من أجل ضمان التّملك والعمل الاقتصادي ممّا يتيح لهم أن يعملوا دون قيود، من أجل تحقيق الأهداف التي وضعوها لأنفسهم، هذه الضمانات تتيح النّمو

---

[1] كاترين أودارد: **الليبرالية "الجديدة" (1-4)...التطور التاريخي لليبرالية الكلاسيكية**، تر: ميشال أ.سماحة، 2013/07/03، متاح على الرابط: https://www.lebanese-forces.com

لأصحاب القدرات الكبيرة، وتكفل مستوى من الحرّيات السياسية والاقتصادية التي ستكون على المدى البعيد إيجابية للجميع[1].

وبالتالي فإنّ "**ميل**" امتلك ثقافة راقية ومتنوّعة، وأنتج فكرًا غنيًا، بدا لكثيرين متناقضًا في جمعه بين فكرة السوق الحر وفكرة التدخّل الاجتماعي، لكن مناداته بالضمان الاجتماعي وأمن العمل والحفاظ على الصحة العامة والحماية من الفقر، وجدت لها تطبيقًا عمليًا وواقعيًا في اقتصاديات سوق حرة، وإن جاء ذلك متأخّرًا بنحو قرن من الزمن، وعوض البحث عن التناقض الشّكلي لدى "**ميل**" يجب الاعتراف برؤيته الاستشراقية التي جسّدتها "دولة الرفاه" في أوروبا، بعد الحرب العالمية الثانية وحتّى تراجعها النسبي في أوروبا الغربية لا يغلق الباب أمام عودتها، وهذه من مآثر الديمقراطية على الرغم من نواقصها، والأهم أنّ دولة الرعاية لا تزال مزدهرة في الشمال الأوروبي، هذه النماذج تشكّل حلمًا صعب المنال للمليارات من فقراء العالم[2].

ولا ننكر ثراء ما قدّمه "**ميل**" في كتابه "النفعية" وخصوبتها عندما نطّلع على كل ما ألّفه في عصره حول هذا الكتاب المهم، ومازال ينشر حوله من قراءات وتحليلات وانتقادات ندرك أهميته في الفكر المعاصر، لا من حيث الاهتمامات الخلافية بل من حيث الاستتباعات العملية التي ولدها والنضالات المختلفة التي يندرج ضمنها كمسألة الحق الذاتي اليوم[3].

2. في الحكم النيابي:

إنّ أطروحات "**ميل**" شكّلت تغييرات كبيرة في النواة النظرية النفعية، رغم أنّ الجوهر هو نفسه، فالفكرة؛ فردية كانت أم مجتمعية، صالحة بقدر نفعها في إنجاز أكبر قدر من السعادة لأكبر عدد من البشر، لكن أفكار "**ميل**" مسّت الأسس السياسية للنظرية، حيث أضافت إمكانية تمييز "الحكم الصالح" وفقًا لنظرية المنفعة؛ هو ذلك الأكثر تقدّمية والأكثر تعزيزًا للبحث عن المتع العليا الإنسانية، هذه الملامح

---

[1] بابلو سيمون، موقع سابق.

[2] محمد محمد: **جون ستيوارت ميل**، 2017/09/08، متاح على الرابط: https://geiroon.net/

[3] جون ستيوارت ميل: **النفعية، مصدر سابق**، ص13.

صالحة لإكمال النظرية على المستوى الفردي، وهي أيضًا ضرورية لإحراز صيغة التنظيم السياسي الأمثل[1].

وبما أنّ التربية الأخلاقية هي إحدى مسؤوليات المجتمع الصالح، فإنّ "**ميل**" رأى أنّ الحكم الصالح ليس فقط ذلك الذي يسعى لتوفير أكبر قدر من المتعة التي يفضّلها مواطنوه، بل أنّ من واجبه أن يسعى لتربية مواطنيه على نيل متع عليا، كما شدّد "**ميل**" على أنّ توفر الفرص لممارسة المهارات الإنسانية بشكل فعّال هو السبيل الوحيد للوصول إلى هذه الغاية المرجوّة، لذلك نادى بأنّ الحرية هي شرط ضروري وجوهري لا يمكن الاستغناء عنه من أجل تقدّم المجتمع.

كما يمكن اعتبار موقف "**ميل**" ضربًا من "النخبوية التربوية"، حيث أنّه يبرّر ضرورة وضع أصحاب التنشئة المعرفية الأفضل في مراتب أعلى في المجتمع، يكاد يكون في هذا المجال تحديثًا لفكرة الفلاسفة، حيث يعتبر أنّ القيادة السياسية للمجتمع يجب أن تكون للطبقة المتعلّمة والمثقّفة، صاحبة الوزن الانتخابي الأكبر حسب رؤيته للنظم الانتخابية، هذا رغم أنّه يصل إلى هذه النتيجة عبر مرافعته عن أهمية التربية والتعلّم كقوى مفتاحية للحرية والاستقلالية.

ولنظام الحكم التمثيلي إيجابيات أخرى واضحة، فهو يوفّر الآليات التي تضع السلطات المركزية تحت السيطرة والرقابة، ويرسّخ برلمانًا يعمل كحارس للحريات وكمركز للعقلانية والسّجال، ويعمل عبر المنافسة الانتخابية على تنمية مهارات الرّيادة والمعرفة لدى عموم الشّعب، ويؤكد "**ميل**" أنّه لا يوجد بديل للنظام التمثيلي يمكن أن يرغب به، رغم وعيه لبعض نواقصه والأثمان الباهضة لبعض أسسه[2].

ومن وجهة نظر "**ميل**" يُمزج نظام الحكم التمثيلي بين المسؤولية والحرفية والخبرة، فبإمكان الحكم التمثيلي أن يتمتّع بإيجابيات الحكم البيروقراطي، لكن دون مساوئ الأخير وسلبياته، التي تُسمح بفضل الحيوية التي توفّرها الديمقراطية لنظام الحكم،

---

[1] بابلو سيمون، موقع سابق.

[2] نفسه.

فحكم الخبراء والديمقراطية متساويان في الأهمية بالنسبة "**لميل**"، حيث دافع بقوة عن ضرورة كل منهما لحسن سير الآخر، واعتبر أنّ تحقيق التوازن بينهما هو أكثر الشؤون صعوبة وتعقيدًا ومركزية في فن الحكم.

إنّ الحجّة ضدّ فكرة المستبد الطيّب من العلامات الفارقة في نظرية "**ميل**"، فالاستبداد أيًّا كان تقييمه يحتاج لانصياع جزء من الهيكل الشعبي، أي أنّ لتراخه وفق "**ميل**" يفترض أن يكون الامتياز في العمل والمعرفة والأخلاق من الغايات العليا التي يسعى الحكم الطيّب لتحقيقها بين مواطنيه[1]، وهذه كلّها نتائج للفعالية والإيجابية، لذلك يرى "**ميل**" أنّ الحكم الشعبي هو البناء الأمثل، وذلك لسببين هما: أنّه يحفظ الحقوق الفردية ولأنّه يحفّز الرقي الأخلاقي والمعرفي، وبالتالي فإنّ الحكم التمثيلي حسبه ليس فقط البنيان السياسي الأفضل وإنّما هو نمط الحكم الممكن والوحيد في العصر الحديث.

<u>المبحث الثاني:</u> مآخـــذ ليبراليـــة ميـل.

لقد أحدثت فلسفة "**ميل**" حملة واسعة على الصعيد الأخلاقي و السياسي، وهذا نظرًا لغزارة فكره وتنوّع أعماله التي بلغت مداها خلال عصره، وفيما يلي عرض لأهم الانتقادات التي وجّهت له في تصوّره حول المنفعة والمرأة والحرية.

<u>المطلب الأول</u>: النقد الموجّه لنفعية ميل.

إنّ من المآخذ التي تعرّضت لها نظرية "**ميل**" في المنفعة نجد أنّ:

مبدأه القائل بأنّ "الخير هو ما يرغب فيه الناس بالفعل" يقع تحت طائلة ما أسماه **جورج إدوارد مور(1873–1958)** 'بالمغالطة الطبيعية'*(**Naturalistic Fallacy**)، لأنّه يفترض أنّ في الإمكان تعريف الخير بالإستناد إلى ما يرغب فيه الناس بالفعل، وحتّى لو تم التسليم بأنّ الناس يرغبون دائمًا فيما هو خير، فإنّ من

---

[1] بابلو سيمون، موقع سابق.

***المغالطة الطبيعية**: هي مفهوم طرحه الفيلوسف البريطاني 'جورج مور' في كتابه 'مبادئ الأخلاق'، حيث يعتبر أنّ من المغالطة تفسير الخير بمصطلحات مختزلة من الخصائص الطبيعية كاللذّة والرغبة، أي هي محاولة تعريف 'الخير' بالإشارة إلى ميزات طبيعية أخرى مثبتة تجريبيًا.

الواضح أنّ هذه الواقعة لا تمثّل ما نعنيه بالفعل حين نقول عن أي شيء إنّه حسن أو خير، هذا إلى أنّه ليس في وسعنا مطلقًا أن نستنتج ممّا يفعله الناس بالفعل وما ينبغي لهم أن يفعلوه، وإلاّ لارتكبنا مرة أخرى "مغالطة طبيعية"[1].

وفي نفس السياق يرى **برتراند راسل** أنّ "**ميل**" قد ارتكب خطأً فادحًا حينما قدّم برهان يُثبت به المبدأ النفعي القائل أنّ: "الدليل الوحيد الذي يمكن الإدلاء به على أنّ شيئًا ما مرغوب فيه، هو أنّ الناس يرغبون فيه بالفعل"[2]، فهذه مغالطة مبنية على تشابه لفظي يحجب اختلافًا منطقيًا[3]، ووجه المغالطة في تعبير "**ميل**" هو أنّه استخدم لفظ "مرغوب فيه" بمعنيين معًا هما: ما يمكن أن يرغب فيه الناس بالفعل أي ما هو كائن، وما ينبغي أن يرغب فيه الناس كمثل أعلى ينشدونه أي ما ينبغي أن يكون، كأن نقول مثلاً إنّ الصدق مرغوب فيه، وهذا يعني بالفعل أنّنا ينبغي أن نكون صادقين، أي أنّنا هنا نصدر حكمًا أخلاقيًا، وهكذا فإنّ حجة "**ميل**" باطلة.

كما نجد المغالطة المنطقية كذلك في انتقال "**ميل**" من مصلحة الفرد إلى مصلحة المجموع، ذلك أنّه برهن على مذهب المنفعة العامة كالتالي: "أنّ كل فرد يرغب فعلاً في سعادته الشخصية كلّما اعتقد إمكان الحصول عليه، وإذا صحّ هذا كنّا قد أثبتنا لا بالدليل الذي تحتمله هذه القضية فحسب بل بالدليل الذي يمكن أن نفتقر إليه، أنّ السعادة خير، وأنّ سعادة كل فرد خير لذلك الفرد، إذن فسعادة المجموع خير لمجموع أفراده"[4]، وهنا نرى أنّ هذا الدليل يشتمل على مغالطة تركيبية تكمن في الحكم على الكلّي بما في ذلك الحكم على الجزئي الذي يتألف منه، حيث يرى "**ميل**" أنّ سعادة الفرد الأول والثاني والثالث كلّهم ذات سعادة مجتمعة، وبالتالي لم يدرك إلى أنّ أنواع السعادة لا تُجمع جُملة كأشياء مادية.

---

[1] زكريا ابراهيم، **مرجع سابق**، ص ص152،153.

[2] جون ستيوارت ميل: **أسس الليبرالية السياسية، مصدر سابق**، ص77.

[3] برتراند راسل: **حكمة الغرب، مصدر سابق**، ص 163.

[4] جون ستيوارت ميل: **أسس الليبرالية السياسية، مصدر سابق**، ص ص77،78.

وعليه فالأساس الأخلاقي الذي بناه "**ميل**" للفكر الليبرالي في نظريته النفعية، يفتقر إلى البناء المنطقي المحكم، وإلى الدلائل أو المبررات التي تلزم الفرد أخلاقيًا برعاية المنافع العامة، فضلاً عن حاجة ذلك البناء إلى معايير لتفضيل الرغبات، ومعايير لقياس نتائج الأفعال إن افترضنا الجدل القائم في العالم المعاصر اليوم إمكان وجود رغبات حقيقية غير مصطنعة.

إنّ حساب الذّات عند "**بنتام**" يرجع إلى تقدير ذاتي يختلف من فرد لآخر، إلاّ أنّ "**ميل**" لم يكن أنجح منه في تحديده لمعنى السعادة، لأنّ تقدير الناس لسعادة المجموع كثيرًا ما يختلف باختلاف فهمهم لهذه السعادة، حيث يعترف "**ميل**" بقوله: "المصلحة العامة التي تشمل كل فرد، تُفسّر بما يتلاءم مع فكرة كل شخص عن المصلحة الاجتماعية[1]"، وقد يجيب "**ميل**" على ذلك بأنّ "اتّخاذ قرار بين اللّذات المختلفة اختلافًا كيفيًا، يُترك في النهاية إلى قضاة عادلين أكفّاء[2]"، لكن هذا الجواب لا يحلّ المشكلة لأنّ القضاة العدول كثيرًا ما يتفاوت فهمهم للمصلحة العامة، فمعيار "**ميل**" القائل بأكبر قدر من السعادة لأكبر عدد من الأفراد الذي ظنّه مطلقًا وموضوعيًا هو نسبي ذاتي، يختلف باختلاف الأفراد فيفهمه الحكيم الواعي على غير ما يفهمه السّفيه القاصر، ويتصوّره صاحب الشهوة والهوى على غير ما يتصوّره المتّقي الزاهد.

إنّ مذهب "**ميل**" يقوم على مصادرة مؤداها أنّ اللذّة هي الخير الأقصى والوحيد للأخلاقية، وبذلك لا يفسح مجالاً لمعيار آخر غير اللذّة، ثمّ يعود بعد ذلك ليفترض معيارًا غير اللذّة يفرّق عن طريقه بين أنواعها، أي أنّه وجب التمييز بين السعادة واللذّة، لكنّ "**ميل**" لمْ ينتبه هنا إلى أنّه اعتنق هذا التمييز فهو يعود ثانية إلى حجج مذهب اللذّة دون أن يواجه بصورة كافية وتامة مشكلة السعادة، وعليه "كان '**ميل**' على استعداد لأن يقول في الأخير أنّ بعض اللذّات أعلى من بعضها الآخر، و لكنّه لمْ ينجح نجاحًا حقيقيًا في إيضاح المقصود بأفضل اللذّات من حيث الكيف

---

[1] جون ستيوارت ميل: **أسس الليبرالية السياسية، مصدر سابق** ، ص110.

[2] المصدر نفسه، ص21.

والنوع في مقابل الاختلافات الكمية البحتة، وهذا أمر لايدعو إلى الدهشة ما دام مبدأ أعظم قدر من السعادة وحساب اللذّات الذي يقترن به يزيل الكيف لصالح الكم"[1].

المطلب الثاني: الاعتراض الموجّه لنظرية المرأة والحرية لدى ميل.

1. نقد نظرية المرأة:

إنّ كتاب "عبودية النساء" هو بمثابة إعلان عقلاني وبليغ عن الوضع الفعلي للمرأة في التاريخ، وبمثابة هجوم على الاستعباد القانوني الذي هي من ضحاياه، وعلى الأخلاق الإكراهية التي تُرغمها على الخضوع للرّجل، وعلى الرغم من عبقريته الخارقة للمألوف، لم يلق "**ميل**" نجاة لدى القرّاء الذكور، فقد وصفته الصحافة بأنّه مجنون ولا أخلاقي، وفي الغالب الاثنان معًا[2].

حاول "**ميل**" تغيير جدول أولويات النساء مطالبًا المجتمع بتغيير ثقافته التي تجعل رسالة المرأة الطبيعية هي البيت، كما طالب كذلك بشيوع ثقافة جديدة مفادها أنّ تكوين أسرة ليست هي كل شيء، وإنّما هناك غايات أخرى فيقول: "إنّ من يحاول إرغام النساء على الزّواج فإنّه يغلق جميع الأبواب الأخرى في وجوههنّ، ويكون عرضة لأن يردّ عليه بنفس الردّ السابق، فإذا كان يعني ما يقول حقًا كان من الواضح أن يكون رأيه عن النحو التالي: أنّ الرجال لا يجعلون ظروف الزواج أمرًا مرغوبًا فيه عند النساء، بحيث يدفعهنّ إلى قبوله لما فيه من مغريات خاصة ، وهكذا لا يسمح الرجل للمرأة بالاختيار ويطبّق عليها مبدأ اختيار **هوبز**: "هذا أو لا شيء"[3].

وهنا نجد أنّ "**ميل**" قد تجاهل في خضم كراهيته لظلم رجال الكنيسة للمرأة أو ظلم زوج معشوقته لها، أنّ ما يُعرف برسالة المرأة الطبيعية من رعاية أطفال وحُنوّ على الزوج وما خصّها الله بها من خصائص نفسية وجسدية ليس تحيّزًا ذكوريًا، بل أنّ الله خلق الكائنات الحيّة وجعل منها الذّكر والأنثى، وأحاط كل منهما بوظائف تتناسب مع الإمكانات والوظائف وطبيعة الخلق، والعمل الناجح هو الذي يقوم على

---

[1] برتراند راسل: **حكمة الغرب، مصدر سابق**، ص162.

[2] جورج طرابيشي: **معجم الفلاسفة**، دار الطليعة، ط3، بيروت، 2006، ص639.

[3] جون ستيوارت ميل: **استعباد النساء، مصدر سابق**، ص ص69،70.

التّخصص، فالرجل عليه النفقة والكدّ والجدّ والعمل لتحصيل الرّزق، والمرأة عليها القيام بواجب بيتها بما في ذلك تربية الأولاد ورعاية الأسرة.

يقول **ميل:** "لا يوجد شيء في هذه الدنيا يستحقّ التضحية بحرية الفرد، ومن ثم فكل امرأة يعولها زوجها حتّى ولو كانت رعايته لها جيّدة، قد باعت في الواقع حرّيتها بثمن بخس عندما استبدلت بها الطعام والمأوى، ولا يمكن لأي انسان حر في أن يفكّر في مثل هذه الصفقة دعْ عنك أن يقبلها، وهي فضلاً عن ذلك لا يمكن أن توجد في مجتمعٍ حرٍ"[1].

وهنا نلمس بوضوح نظرة "**ميل**" المادية للزواج، فهو برأيه صفقة مادية بحتة، كما لم يرى في الزواج سوى الطعام والمأوى بدل السكن والرحمة والمودة، هذه القيم والمعاني ارتقت بالزواج لتعدّه لدى المسلين عبادة تعدّل نصف الدين؛ لما لها من أثر إيجابي في توازن شخصية المسلم، وقد أحاط الإسلام بهذه المؤسسة لما لها من أهمية تشريعية بالغة الإحكام حدّد فيها حقوق وواجبات كل طرف على أساس من المساواة والتكامل، وعليه فإنّ مذهب "**ميل**" الحسّي لا يعترف بالكيفية، وبالتالي جعل الإنسان غارقًا في المادية، فأصبح الرجل الحديث عبدًا للمنفعة، ساعيًا وراء اللّذات دون التفكير في الغاية التي يلتمسها من وراءها، ولذلك يمكن القول بأنّ إنسان العصر الحديث أصبح مفتقرًا تمامًا إلى الإحساس بالقيم.

لم ينصف "**ميل**" في كتابه "استعباد النساء"، إذْ لمْ يرى إلاّ بعين واحدة وتجاهل إعمال العين الثانية لترى استعباد النساء في المحيط الخارجي أي بيئة العمل من أجل لقمة العيش، حيث فرضت الظروف عليهنّ حينها أن يعملن كي يجدن قوت يومهنّ، ومنهنّ من كانت تترك أولادها في ملاجئ الكنيسة حتّى تتحسّن أحوالها ويكون بمقدورها الإنفاق عليهنّ، لكنّ "**ميل**" لم يصبْ جام سخطه إلاّ على أوضاع المرأة داخل الأسرة، واستعباد الزّوج لزوجته، مطلقًا عليها "خضوع النساء" ولمْ يُشر رغم أنّ الكتاب تناول بكثرة الحث على مشاركة المرأة في المجتمع في كافة المجالات

---

[1] جون ستيوارت ميل: **استعباد النساء، مصدر سابق**، ص ص14،15.

من قريب أو بعيد إلى صور العبودية الحقّة، وجُلّ همّه انحصر في الدّين والقوانين التي كانت تمنع تواصله بمعشوقته "**تايلور**" التي كانت متزوّجة قبله، كما أن "**ميل**" ظلم المرأة حيث ظنّ أنّه يُنصفها، فقد اتّخذ في مطالبته بالمساواة في الحقوق من الرّجال خطّه التوجيهي، زاعمًا أنّ المرأة بتمرّدها على أدوارها الأنثوية والتّحرر من الأسرة ومزاحمتها للرجال في الخارج سوف تبلغ مكانة الرجل، ومن ثمّ تتساوى معه، وهذا ما بات في حدّ ذاته عُرضة للنقد حتّى من جانب النسويات أنفسهن، التي طالبن الكثير منهمنّ بأحقيتهنّ في التّمسك بمزايا التمايز بين الذكور والإناث.

تقول المؤرّخة القانونية النسوية "يوت جيرهارد": " أنّ المساواة تبقى ضرورية كمعيار للعدل، والتّمتع بحقوق متساوية، بألاّ تفترض الإندماج في وضع الرجال ونمط حياتهم، إنّ افتراض أنّ مبدأ المساواة هو مركزية ذكورية لا ينظر إلى النساء إلاّ إذا أخفين وضعهنّ الخاص هو افتراض يقوم على سوء فهم لمعنى المساواة في الحقوق"[1].

2. نقد نظرية الحرية:

فضلاً عن إمكانية حصر الحرية في قولبة فلسفية كما فعلت الليبرالية فإنّ فهم الحق والحرية الطبيعيين يجعل نظريات الحق الطبيعي شكلية وصورية ومجرّدة وبدون مضمون عيني حقيقي، لأنّها تركّز على الفرد فقط، ولا يتحقّق المضمون العيني للحق والحرية الطبيعيين إلاّ عندما يفهم على أنّهما حقًّا اجتماعيًا، فتجريد الحرية عن القانون عند "**ميل**" وما وضعه من معيار للالتزام يجعل من غير الممكن فهم حدود الحرية الفردية، فكيف يمكن لفعل فردي ضار بذات الفرد لا يكون له ضرر اجتماعي، وكيف يمكن حصر هذا السلوك ومدى سلبيته على المجتمع؟ إذْ أنّ ذلك يعني بمخالفة أهم شرط من شروط القاعدة القانونية التي تتّسم بالعمومية والتجريد، فقد يحكم على سلوك بأنّه شخصي ولا يعود بالضّرر على المجتمع، وذات الواقعة يمكن عدّها ضارة بالمجتمع ويعاقب مرتكبها، إذْ أنّ الحرية من دون ضبط أو

---

[1] ليندا إم.جي.زيريللي: **النقد النسوي لليبرالية**، تر: سنية نمر ياسين، مجلة حكمة، 2017/04/23، متاح على الرابط: https://hekmah.org/

تقييد هي فوضى وحرية إباحية، وإذا لم تكن هناك فرصة للجميع لأن يحقّقوا حرّياتهم فإنّ الحرية لا تقوم، فالحرية تتضمن ضوابط معيّنة، وفي هذا المعنى يكون القانون شرطًا للحرية على الرغم من اتّفاقنا بأنّ على القوانين ألاّ تكون تحكّمية وغير عادلة، لذلك فإنّ قول "**ميل**" 'بأنّ كل زيادة في سلطة الدولة هو نقص مقابل في الحريــة الفرديــــة' رأي مبالغ فيه[1].

إنّ "**ميل**" في أطروحاته عمل على دمج أفكار ديمقراطية مع توجّهات لصالح حماية الأقليات، ولا شكّ أنّه كان نقديًا بعمق اتجاه الفروقات العميقة في الدخل والسلطة والثروة، ورأى خصوصًا في كتاباته الأخيرة أنّ هذه الفروقات تعرقل تنمية الشطر الأعظم من البشر، خصوصًا الطبقة العاملة، لكن هذه الأفكار تصطدم مع بعض الطروحات التي قدّمها حول المساواة السياسية والاجتماعية.

كما أنّ هناك أفكار متناقضة في فكره، حيث نلاحظ أنّ لديه مواقف ملتزمة بالتنمية الأخلاقية لجميع الأفراد، لكنّه في الوقت نفسه يدافع عن فروقات عميقة بين البشر لأجل أن يتمكّن المربّون من تثقيف الجهلة، وبهذا فإنّه يقدّم أفكارًا مهمّة وواجبة الدراسة لصالح فكرة الديمقراطية، لكن عند الأخذ ببعض المسافة مع الخطوات العملية التي اقترحها حيث أنّها فعليًا وفي المحصّلة مُعرقلة لتطبيق ديمقراطية حقّة[2]، كما يمكن ملاحظة أنّ ثقة "**ميل**" بالناخبين متدنّية للغاية، حيث دافع بوضوح عن إقرار الإقتراع العام لجميع المواطنين، لكنّه اقترح نظامًا انتخابيًا معقّدًا يريد من خلاله منع احتمال سيطرة الجماعة لا سيما الطبقة العاملة على النظام العام بجهل كفاءتها.

وعليه يمكن القول أنّ "**ميل**" قد كرّس معظم حياته مدافعًا عن رأيه في أنّ الليبرالية يجب أن تكون حيادية أي أن يكون الناس أحرارًا بقدر كبير، لكن نجد أنّ هذا القول يتناقض مع بعض أفكاره التي تظهر أنّها إصلاحية، كون أنّ للدولة الديمقراطية

---

[1] طلال حامد خليل: **المرتكزات الفكرية لليبرالية دراسة نقدية**، دفاتر السياسة والقانون، ع 15، جوان 2016، جامعة ديالى، العراق، ص162.

[2] بابلو سيمون، موقع سابق.

الليبرالية حسبه دورًا هامًا وفعّالاً في صيانة وحماية حقوق الأفراد، ومن أجل حماية الجماعات والأقليات عن طريق سنّ القوانين.

المبحث الثالث: مكانة النظريــة الليبراليــة لميل عند بعض معاصريه.

لقد أحدثت ليبرالية "**ميل**" حملة واسعة على الصعيد السياسي والاجتماعي والأخلاقي، وهذا نظرًا لغزارة فكره وتنوّع أعماله، حيث تركت هذه الأخيرة أثرًا بالغًا في بعض الفلاسفة الغربيين والمفكرين العرب، وهذا ما سيتمّ تناوله فيما هو آتي.

المطلب الأول: تأثيره في بعض فلاسفة الغرب.

1. كارل بوبر (1902-1994): هو فيلسوف نمساوي إنجليزي ليبرالي، كما يعتبر من أهم فلاسفة السياسة والاجتماع، ونصيرًا مخلصًا للديمقراطية، وداعية للمجتمع المفتوح، حيث آمن بقيمة العقل ودوره وقدرته، وتبنّى النقد منهجًا لعمل العقل وتقدّم المعرفة، وناهض كل نزعة ارتيابية أو اصطلاحية أو نسبية في العلم وفي الشؤون البشرية عامة[1].

وله العديد من المؤلفات أبرزها: "منطق البحث" عام 1934، وكتاب "المجتمع المفتوح وأعداؤه" عام 1945، وهذا الأخير اكتسب من خلاله شهرة عالمية ككاتب سياسي، حيث قدّم فيه مبدأً شاملاً مرشدًا للسياسة العامة هو: **'**أقل قدر ممكن من المعاناة**'** كمقابل لمبدأ "**ميل**" **'**أكبر قدر من السعادة**'**، ويتميّز مبدأ "**بوبر**" عن مبدأ "**ميل**" بأنّه يلفت الانتباه مباشرة إلى المشكلات[2]، وهنا لا يخفى تأثّر "**بوبر**" بـ"**ميل**"، حيث أنّ المبنى الفكري لهذا الأخير هو وفق رأي "**بوبر**" في أنّه لا يحقّ لأحد التدخل في شؤون الأفراد وأمورهم الشخصية ما لمْ تُعرّض مصالح الآخرين للخطر، أي أنّ لا بدّ للفرد أن يعمل وفق طريقته ومنهجه الخاص، فمن وجهة نظر "**بوبر**" لا يحقّ لأحد ممارسة إجبار الأفراد بحجة إرادة الخير لهم.

---

[1] كارل بوبر: **مائة عام من التنوير**، تر: عادل مصطفى، مؤسسة هنداوي سي آي سي، (د.ط)، 2017، ص11.

[2] نفسه، ص135.

والدليل على ذلك طرح "**بوبر**" في قوله: "إنّني أوافق على مبدأ "**ميل**" ضمن الصيغة الآتية، وهي أنّ كل إنسان حرّ في أن يعيش وفق الطريقة التي يراها، سواءً كان ذلك موجبًا لسروره وسعادته أم لا، وذلك إلى الحدّ الذي لا يُفضي إلى وقوع الضرر على شخص ثالث، بيد أنّ وظيفة الدولة تتمثّل في إيجاد حالة من الاطمئنان على هذا الصعيد، بحيث لا يتعرّض المواطنون غير المطّلعين لأيّ خطر لا يستطيعون تقييمه والحكم عليه"[1].

2. بول فيرابند (1924-1994): فيلسوف نمساوي معاصر، اهتمّ بمجال العلوم وعرفت أفكاره بالفوضوية أي رفض وجود نسق علمي ثابت ونهائي، ومن أهم مؤلفاته: "ضدّ المنهج" 1979، و"العلم في المجتمع الحر" 1978، و"وداعًا أيّها العقل" 1987، و"أوراق فلسفية" عام 1981، وكل هذه الأعمال ساهمت في بناء فلسفته، وتعتبر النزعة النسبية من أهم تجلياته، فهو يقدّم صورة عامة عن مذهب **النسباوية***على أنّه مذهب يمارس في الحياة العملية والثقافية، فما هو صادق بالنسبة للفرد أو الجماعة أو الثقافة ليس بالضرورة صادق لفرد أو جماعة أو ثقافة أخرى مخالفة، فالنسباوية التي يدافع عنها "**فيرابند**" هي نسباوية تقوم أساسًا على فكرة التعدّد والتّنوع الثقافي والمعرفي النّابع من صميم الوجود الإنساني، وتؤمن بأنّ تاريخ الأفكار والمناهج والنظريات والأحكام وكل التقاليد المعرفية هي جزء أساسي للممارسة المتطوّرة للعلم والحضارة الإنسانية، وفي هذا الصدد يقول: "إنّ النسباوية التي أقدّمها هنا لا تهتم بالمفاهيم بل بالعلاقات الإنسانية، إنّها تعالج المشكلات التي تنشأ عن صراع الثقافات المختلفة أو الأفراد مع العادات والتقاليد والأذواق المختلفة"[2].

وقد وظّف "**فيرابند**" توجّهه النسباوي في مجال السياسة، حيث دعى إلى نسباوية ليبرالية قوامها بناء مجتمعات ديمقراطية تعمل على تشجيع التعددية والتّنوع،

---

[1] كارل بوبر: **درس القرن العشرين**، تر: الزواوي بغورة، لخضر مذبوح، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، بيروت، 2008، ص98.

* **النسباوية:** "هي مذهب يقرّ بأنّ كل معرفة إنسانية هي معرفة نسبية" **ينظر:** جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج2، ص466.

[2] Feyerabend : **Adieu la Raison**, tra : Baudouin Jurdant, Ed seuil, Paris,1989,p101.

والحريات المتساوية لكلّ التقاليد وإتاحة الفرص مؤكدًا على النزعة الإنسانية القائمة على تمجيد حرية الفرد[1]، وهنا لا يُخفي "**فيرابند**" تأثّره بفلسفة "**ميل**" في كتابه "حول الحرية" الذي يدافع فيه عن النزعة الفردية والحرية الإنسانية وتعدّد الآراء و الأفكار.

كما يبرز أهمية الحرية في الحياة الاجتماعية ودورها في عملية التنمية، فلا يمكن لأي مجتمع أن يتمتّع بالحرية دون أن يكفل هذه الحريات بوجه عام وبدون قيد أو شرط، فالثابت لدى "**ميل**" أنّه لا يوجد ما يسمى بالحقيقة المطلقة ولا يمكن وصف رأي ما بأنّه مؤكد، فهو يرفض الاستبداد العقلي ويعتبره عائق أمام حرية الرأي والتعبير ويمنع الأفكار من الخضوع للنقاش، ويكرّس التّطرف الفكري معتبرًا الفكرة السائدة هي الحقيقة المطلقة، كما رفض الاستبداد السياسي وبيّن حدود صلاحيات السلطة السياسة التي تمارسها على الأفراد ووضع حد للطغيان السياسي، إذْ يقول: "فليس في حاجة للتدليل على أنّه لا يجوز للسلطة التشريعية أو التنفيذية التي تحدّد مصالحها مع مصالح الشّعب، أن تفرض آراء معيّنة على الناس وأن تحدّد لهم ما يجوز سماعه من المناقشات".[2]

والحرية تقضي مراعاة مصالح الناس وحماية حقوقهم ليس فقط من الطبقة السياسية بل كذلك من طغيان الأغلبية أو طغيان الشعب، والذي يعتبره أشدّ قوّة من القمع السياسي لأنّه ينفد بشكل عميق إلى تفاصيل الحياة الاجتماعية، " لذا فإنّ الحماية من طغيان الحاكم ليس بالشيء الكافي، بل هناك حاجة للحماية أيضًا من طغيان الرأي، إذْ هناك فاصل بين التّدخل الشرعي للمجتمع وبين استقلالية الفرد، حيث أنّ أي فصل بينهما يعدّ صيانة وحماية من الانتهاكات، ولا غنى عنه من أجل وضع جيد للشؤون الإنسانية، شأنه شأن الحماية من الاستبداد السياسي"[3].

---

[1] بوصالحيح حمدان: **العقلانية العلمية المعاصرة وإنتقاداتها "بول فيرابند" نموذجا**، رسالة دكتوراه العلوم في الفلسفة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، 2014، ص171.

[2] جون ستيوارت ميل: **أسس الليبرالية السياسية، مصدر سابق**، ص135.

[3] جون ستيوارت ميل: **عن الحرية، مصدر سابق**، ص09.

وفي هذا يرى "**ميل**" أنّ مقتضيات الحرية تشترط عدم فرض ما نراه نحن حقيقة على الغير، فيجب أن يتمتع كل فرد من أفراد المجتمع بحرية ضمير تامة، تجعله قادرًا على التعبير عن آرائه العلمية والعملية والدينية والأخلاقية، وأن يحدّد وفقًا لحياته الخاصة اهتماماته ومتطلّباته، وأن ينتمي لأي جماعة سياسية تخدم أغراضه شريطة عدم إلحاق الضرر بالآخرين.

هذه الحرية التي أسّس لها "**ميل**" كانت مصدر إلهام بالنسبة لـ"**فيرابند**" الذي يدافع عن مجتمع حر تتعايش فيه كل التقاليد دون إقصاء، فهو يمجّد الحرية ويجعلها أساس التقدم، حيث دعى للعمل على الحدّ من سيطرة العلم على المجتمع ملتزمًا بموقفه "الإنساني" على ضرورة تحقيقه أكبر قدر من الحرية والسعادة للإنسان، وإلغاء كل الإلتزامات التي يفرضها العلم والعلماء باسم العقلانية، فالمجتمع الحر الذي ينشده "**فيرابند**" يمنح الفرص لكافة المعارف والتقاليد والقيم قصد النهوض بالعلم والمجتمع معًا، والحرية عند "**فيرابند**" تكمن في التّحرر من سيطرة المؤسسات ومناهج التعليم على عقولنا والسماح لظهور أكبر قدر ممكن من الأفكار والتصورات والتحرّر من الأفكار والقوانين السلطوية التي تمارس إكراهًا على الأفراد باسم القوانين المنطقية والعلمية، كما أكّد على أهمية الحرية الفكرية لأنّها السبيل الوحيد للتّحرر من القيود الخانقة التي تفرضها الإيديولوجية للعلم[1].

وعليه دعى "**فيرابند**" إلى تنمية النزعة الفردية مؤكدًا أنّ الإنسانية وحتّى العلم سينتفع من كل شخص يقدّم عملاً ما، وعلى كل باحث أن يتّبع الطريق الذي تمليه عليه ذاته دون أن يقلّد المناهج التي يعتقد أصحابها أنّهم يمتلكون الحيقية.

ومن خلال ما سبق يتّضح مدى تأثير "**فيرابند**" بـ"**ميل**" في القول بالتنمية الفردية والزيادة في الحرية التي تنتج لنا كائنات بشرية مكتملة النمو، فرفض مركزية العقل وانفتح على اللامعقول، وبهذا فإنّ "**فيرابند**" وجد في آراء "**ميل**" سندًا قويًا في الدفاع عن الحرية الفردية وتعدّد الآراء ورفض إرادة فرض النموذج الواحد والرؤية الواحدة،

---

[1] شادلي هواري : **فلسفة اللامعقول عند فيرابند**، رسالة دكتوراه العلوم في الفلسفة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، 2018/2017، ص36.

وبالتالي فالحرية التي ينشدها "**فيرابند**" كغاية لتوجّهه النسباوي، هي أن نعطي الحقوق متساوية لكل التقاليد ولكل الثقافات.

3. جون رولز(1921- 2002): هو فيلسوف أمريكي ومن أبرز فلاسفة الفكر الغربي السياسي المعاصر، كتب العديد من المؤلفات أهمها: كتاب سماه "نظرية في العدالة" عام 1971، وفي عام 1993 كان له كتاب تحت عنوان "الليبرالية السياسية"، حيث يعتبر من أهم واضعي الليبرالية في القرن العشرين[1].

حاول "**رولز**" من خلال مؤلفاته ترسيخ الأسس التي بنيت عليها النظرية الليبرالية بأبعادها المختلفة تطبيقًا وعملاً من أجل تحقيق أسس العدالة بين الشعوب، إذْ تعدّ العدالة من أهم قيم المجتمع المدني بدعمها للفصل بين صراعات الأفراد على مختلف ألوانهم ومشاربهم، مؤكدًا على الحرية الفردية وتنمية قدرات الإنسان الذاتية.

ويشير "**رولز**" في العديد من المرات أنّ "نظرية العدالة" بديل للنظرية النفعية التي يرى أنّها لا تصلح أساسًا للمؤسسات أو الحكومات حيث يقول في ذلك: "السبب الرئيس الذي يدفعني لإيجاد مثل هذا البديل هو الضعف، كما أعتقد في العقيدة النفعية كأساس للمؤسسات الديمقراطية الدستورية على وجه الخصوص، ولا أعتقد أنّ المذهب النفعي يستطيع تقديم تفسير مرض للحقوق والحريات الأساسية للمواطنين كأفراد أحرار ومتساوين"[2]، فهو يشرح هنا أنّ الهدف من هذا الكتاب هو أنّ النظرية النفعية سيطرت بشكل منهجي على الفلسفة الأخلاقية الحديثة، أو في جزء منها، وهذه النظرية تبنّاها "**ميل**" الذي من خلال اعتناقه لمبادئ المنفعة، رأى في كتابه **(النفعية)** أنّ المصلحة الجماعية عاطفة وجدانية تلبّي مجموعة من المصالح المشتركة بقوله: " للنظرية النفعية النّافع ليس أداة بل يدلّ على أمر أخلاقي يتمثّل في السعي لتحقيق أكبر سعادة ممكنة لأكبر عدد من الناس"[3]، فالمذهب النفعي الذي يعتمده "**رولز**" لا يرجع إلى مبدأ النفعية بل إلى مبادئ العدالة، فهو يرى النفعية

---

[1] جون رولز: **نظرية في العدالة**، تر: ليلى الطويل، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2011، ص06.

[2] نفسه، ص12.

[3] جون ستيوارت ميل: **النفعية، مصدر سابق**، ص23.

التقليدية لا تبالي بسعادة كل فرد لأنّها تأخذ سعادة الجميع ورفاهها، كما أنّها عندما تُعنى بتلبية رفاه الجميع تُبعد الحرية الشخصية، فتبدو كمذهب اختباري ينطلق من الواقع المتمثّل في الميول والنزعات الإنسانية، وبهذا فإنّه يرجع إلى شيء قبلي متمثلاً في مبادئ العدالة التي ينطلق منها فكره الذي يعدّ إحياء للتفكير الليبرالي التقليدي.

يرى "**رولز**" أن العدالة هي "الفضيلة الأولى للمؤسسات الاجتماعية، كما هي الحقيقة للأنظمة الفكرية، ومهما كانت النظرية أنيقة ومقتصدة لا بدّ من رفضها إذا كانت غير صادقة، كذلك الأمر بالنسبة للقوانين والمؤسسات مهما كانت كفوءة وجيّدة التشكيل، لا بدّ من إصلاحها أو إبطالها إذا كانت غير عادلة"[1].

وهنا يتبيّن أنّ نظرية العدالة لـ"**رولز**" لا تهدف إلى تحديد الخير من الشر أو كيف يعامل الناس بعضهم البعض، بقدر ما تهدف إلى وضع المبادئ التي يجب أن تقام عليها البنية الأساسية للمجتمع أي مجموعة المؤسسات الأولية التشريعية والاقتصادية ودستور البلاد والتعليم، وبالتالي فإنّ نظريته في العدالة هي نظرية سياسية وليست أخلاقية، فالمبادئ التي وضعها وارتكز عليها والتي يقبلها الأفراد الأحرار والعقلانيون تتمثل في قوله: "بمبدأ المساواة في الحرية، ومبدأ العدالة في التوزيع"[2].

على الرغم من أنّ "**ميل**" أصرّ على أنّ "مبدأ التجارة الحرّة" يستند إلى أسس متساوية في القوّة كما فعل في مبدأ "الحرية الفردية"، إلاّ أنّه أصرّ على أنّ المبرّرات الشخصية والإقتصادية للحريات متميّزة ومختلفة، وفي كتابه "مبادئ الإقتصاد السياسي" شدّد على صعوبة الإجابة عن إذا ما كانت الحريات الشخصية قابلة للازدهار بدون الملكية الخاصة وهي وجهة نظر عاد تأكيدها "**رولز**" بعد قرن من الزمان، وهنا لا يُخفي "**رولز**" تأثّره بـ"**ميل**".

---

[1] جون رولز: **نظرية في العدالة، مصدر سابق**، ص29.

[2] جون راولز: **العدالة كإنصاف**، تر: حيدر حاج إسماعيل، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت، 2009، ص148.

المطلب الثاني: تأثيره في بعض المفكرين العرب.

تناول المفكرون العرب مشكلة الحرية فاعتبروها ذات مكانة جوهرية ومحورية لدى الأفراد، حيث بحثوا في أصولها ونشأتها، موضّحين ومبيّنين فاعليتها وتأثيرها في إعلاء قيمة الفرد والمجتمع، فراحوا يكتبون عنها معرّفين نظرياتها واتجاهاتها، ومن بين هؤلاء المفكرين العرب نجد: "**أحمد لطفي السيّد**" و"**علي حسين الوردي**" .

1. أحمد لطفي السيّد (1872-1963): هو مفكر ورائد من رواد حركة النهضة والتنوير في مصر، أطلق عليه لقب "أستاذ الجيل" وأبو الليبرالية المصرية، ويعدّ في مقدّمة المفكرين الليبراليين المصريين كونه كان أكثر عناية بقضايا الحرية عامةً لا سيما الحرية السياسية على وجه الخصوص، كما أنّه من أوائل الذين وضعوا قواعد علمية للسياسة المصرية في مطلع القرن العشرين.

إنّ أعظم ما تأثّر به "**أحمد لطفي السيّد**" من الفلاسفة والمفكرين هو تأثّره بـ"**ميل**" في مذهب المنفعة ونظريته في الحرية، فمذهب المنفعة هو القاعدة في تفكيره السياسي والاجتماعي، والمنفعة هي الحافز الأصيل للعلاقة بين الدول بعضها ببعض، وبين الحكومة والأفراد، أو بين الأفراد فيما بينهم، أمّا مذهب الحرية الذي نادى به "**ميل**" أساسًا للنظام الاجتماعي، فقد اتّخذه "**السيد**" أساسًا لما أسماه "مذهب الحرّيين" للدولة نسبة إلى الحرية مفضّلاً هذه التسمية على غيرها من المسمّيات الأخرى، وكانت دعوته لهذا المذهب أول دعوة في مصر حينذاك لفلسفة النظاميين السياسية والاجتماعية[1].

يرى "**السيد**" أنّ القاعدة في كل مذهب من المذاهب السياسية هو المنفعة، فحبّ المنفعة هو الدافع النفسي الذي يدفعنا إلى العمل، ويختلف النّاس في تقدير منفعتهم الشخصية كما يختلفون في تقدير منفعتهم العامة، ومن هذا الاختلاف في تقدير المنفعتين الشخصية والعامة يكون اختلاف المذاهب السياسية في حكم الأمم، فمن النّاس من يرى المنفعة في الملكية أو حكم الفرد على أي نوع من أنواعه، ومنهم من

---

[1] حسين فوزي النّجار: أحمد لطفي السيد (أستاذ الجيل)، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (د.ط)، 1999، مصر، ص ص178،177.

يرى المنفعة في حكم الأشراف أي الذين يمتازون بالثروة والمولد، ومنهم من يرى المنفعة في الحكم الاشتراكي، إضافة إلى أنّ هناك من يرى أنّ منفعة الأفراد ومنفعة المجموع لا تكون إلاّ في حكم الأمة بمقتضى مبادئ الحرية أو ما يسمى مذهب الحرية أو الحريين، ويقضي هذا الأخير بألاّ تُضحّى حرية الفرد ومنفعته لحرية المجموع، وهذا المذهب (مذهب الحريين) هو الذي يجب أن يكون أساسًا للحكم في مصر[1].

يقول "**السيّد**" في كتابه الحرية الشخصية: " إنّ مذهب الحريين أو الفرديين يعتبر الحكومة ضرورة من الضرورات، ويعتبرها كذلك أيًا كان من شكلها أرسطوقراطية (حكومة الأشراف) أو ديمقراطية (حكومة الشعب) أو حكومة الفرد، ولهذا الاعتبار ينبغي أن يكون عمل الحكومة داخل دائرة محدودة بحدود الضرورة، فلا يكون على الحكومة إلاّ ثلاثة واجبات: البوليس وإقامة العدل وحماية البلاد، وكل ما يخرج عن هذه الدائرة لا يحلّ لها المداخلة فيه"[2]، وهنا يتبيّن تأثيره بـ"**ميل**" والدليل على ذلك قوله: "يعجبنا قول أحد كتاب الانجليز في هذا الصدد: "إنّ الحكومة لم تدخل في عمل خارج عن هذه الدائرة إلاّ أثبتت عدم كفاءتها له، مذهب معقول لأنّ الإنسان خُلق حرًّا حرية غير محدودة، فلا يكون حدّها بضرر الغير إلاّ ضرورة من ضرورات الجمعية"[3].

وهنا يقصد "**السيّد**" بأحد الكُتاب الانجليز الفيلسوف "**ميل**" من خلال قول "**ميل**" لمبدأ الضرر الذي ينادي بحرية الفرد ما دام هذا الأخير لا يشكّل خطر على المجموع، وأنّ الدولة عليها التّدخل إلاّ في حالة ما إذا توجّب عليها ذلك، أي أنّ الحرية عند "**ميل**" هي قدرة الإنسان على السعي وراء مصلحته الشخصية بحسب منظوره شريطة

---

[1] حسين فوزي النجار، مرجع سابق، ص ص179،178.

[2] كليمانز ريكر: **الليبرالية في تاريخ الفكر العربي**، مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية، ط1، القاهرة، 2010، ص32.

[3] مرجع نفسه، ص32.

ألاّ تكون مفضية إلى الإضرار بالآخرين، وهذا ما أخذه "**السيّد**" من "**ميل**" وأثّر فيه بشكل كبير.

إنّ الحرية هي القاعدة العامة لتفكير "**السيّد**" واتجاهه العام وما لمسه من تأخّر للمجتمع المصري عن مثيله من المجتمعات المتقدّمة، إذْ كان له الأثر في صبّ اهتمامه بأوجه النقص والعمل على إصلاحه، فطالب بحرية الصحافة وبيّن أثر الرأي العام في الساحة السياسية، وأنّ للدولة وظائف محدودة هي الحفاظ على الأمن والعدل والدفاع عن الوطن ضدّ أي عدوان.

وبهذا فإنّ آراؤه الإصلاحية حيال حرية الفكر من خلال مناقشته لقضايا الصحافة، نجد اتّفاقه مع "**ميل**" في أنّ الحرية هي الضامن لحياة الأفراد من مظالم الحكومات المستبدّة، وفي أنّه ليس لأي سلطة تنفيذية كانت أو تشريعية غير متّفقة المصالح مع الأمّة أن تفوّض على الناس ما تراه من الآراء والمعتقدات، وأيضًا رفض حرية المناقشات على الخاصة من دون العامة[1].

كما نجد أنّ "**السيّد**" قد تأثّر بـ"**ميل**" في المساواة بين الرجل والمرأة باعتبارها مسألة في غاية الأهمية مبرّرًا في قوله: "إذا غصب الرّجل حقّ المرأة في المساواة وحقّها في الانتخاب والتوظّف، فلقد غصبته حرّيته، وأقامت نفسها عليه ملكًا لا يرحم عند المقدرة ولا يجامل عند الحاجة، ولا يعذر عند الزلّة، كأن المرأة قد اتّخذت من حبّ الرجل لجمالها سلاحًا تنتقم به منه على ما فرّط في تقدير المساواة بينها وبينه"[2].

2. **علي حسين الوردي (1913–1950)**: هو مفكر وعالم اجتماع عراقي، آمن بالفلسفة التجريبية والثورة المنطقية الحديثة الممثّلة بالمنطق الاستقرائي عند "**فرانسيس بيكون**" ونقده للمنطق الأرسطي في محاولة لعكس القياس الأرسطي بالانتقال من الجزئيات إلى الكلّيات، حيث تشرّب من الفلسفة الحديثة ونهل أيضًا من الفلسفة المعاصرة، وقد كان للفلسفة البراغماتية الأثر البيّن في اتّجاهه الفكري، كما تأثّر

---

[1] مهند علي نعمة ابراهيم: **الحرية عند أحمد لطفي السيّد**، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، ع 35، أكتوبر 2017، ص511.

[2] أحمد لطفي السيّد: **مبادئ في السياسة و الأدب والاجتماع**، درا الهلال، القاهرة، 1963، ص160.

بالفكر التجريبي عند "**ميل**" وبالتحديد الاعتماد على الحس بوصفه مصدرًا للمعرفة والمنفعة والمصلحة[1].

يرى "**الوردي**" أنّ احترام التعدّدية والدعوة إلى الحرية تقتضي بالدرجة الأساس احترام حرية المرأة التي تشكّل نصف المجتمع، وهذا مالم يتجاوزه العرب إلى يومنا هذا، فلا بدّ أن تُحترم المرأة وتُعطى حقوقها كافة لأنّها "مخلوق بشري كالرجل، لها الحق في أن تعيش كما يعيش، وأن تتمتّع بالحياة على منوال ما يفعله الرجل"[2]، وفي تحقيق هذا الأمر نجد تحقّق أهم انتصار على الروح الاستبدادية في ذات الفرد أوّلاً وفي المجتمع ثانيًا، وهنا يتبيّن تأثّره بـ"**ميل**"، كون هذا الأخير دعى للمساواة بين الرجل والمرأة في الإطار الخارجي، كما نقد المنطق الأرسطي واعتبره استدلال ظاهري لا يتضمّن أيّة إضافة، حيث سلّم بالحدس بوصفه مصدرا للمعرفة، واعتبره المقدّمة الأصلية التي نستدلّ منها كلّ الحقائق الأخرى، كما رفض الاستبداد العقلي واعتبره عائق أمام حرية الرأي والتعبير.

وعليه فإنّ من هذا المنطلق نجد أنّ فكر "**الوردي**" يدور حول إمكانية الارتقاء بالإنسان، وتقبّل المجتمع للمتغيّرات والمعتقدات الفكرية، لذلك نجده ناقمًا على المنطق التقليدي الأرسطي الذي كان يرتبط عنده بالمنطق الاستبدادي على اعتبار أنّ كلاهما يعتقد بالوصول إلى الحقيقة المطلقة النهائية، وكلاهما يقمع حرية الرأي والاختلاف والتعدّدية.

حيث أنّ هذه المفاهيم التي دافع عنها "**الوردي**"، اعتبرها أساسًا للوصول إلى المجتمع الديمقراطي، وبعكسه سيسود الاستبداد، لذلك نجده دائم النقد للحقيقة، لأنّ امتلاكها أو إدّعاء الملك لها، يعني القضاء على التنوّع الفكري الذي هو الأساس في تحقيق الإنسان إلى ما وصل إليه من تطور وما سيصل له.

---

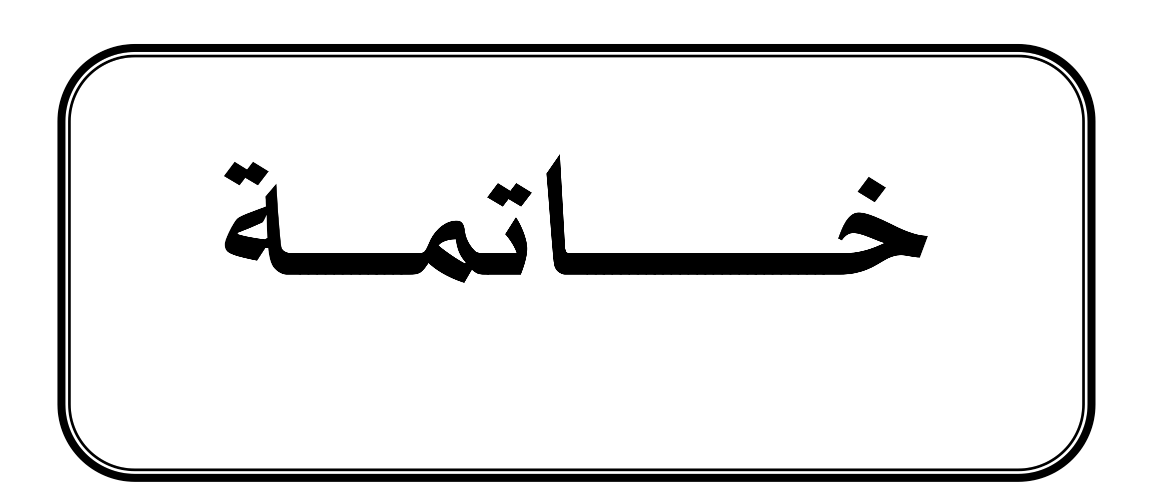
[1] مجموعة من الأكاديميين العرب: **موسوعة الفلسفة العربية المعاصرة**، دار الأمان، ط1، الرباط، 2014، ص ص187،186.

[2] علي الوردي: **مهزلة العقل البشري**، دار كوفان، ط2، بيروت، 1994، ص15.

خــلاصـــــــــة:

بما أنّ تاريخ الفلسفة متّصل ومتواصل، فإنّ الإقبال على ليبرالية "**ميل**" أدّى إلى مساهمة الكثيرين في توسّع هذه القضية ونيلها صدًا واسعًا باعتبارها من أهم القضايا التي شغلت ولازالت تشغل الفلاسفة المعاصرين.

وعليه نستنتج أنّ فكر "**ميل**" قد لاقى العديد من الإيجابيات التي تُثمن على ليبراليته، كما تعرّض كذلك للكثير من الانتقادات التي نلمسها مع **رولز** رغم تأثّره به و**برتراند راسل** إضافة **جورج مور**، وفي مقابل هذا وجدت ليبرالية "**ميل**" ترحيبًا واسعًا من قبل الفلاسفة المعاصرين الغربيين أمثال: **كارل بوبر** و**بول فيرابند وجون رولز**، ومن المفكرين العرب نجد: **أحمد لطفي السيّد** و**علي حسين الوردي** إضافة إلى بعض المفكرين الذين لم يتم التطرّق لهم، وقد أثنى هؤلاء على أطروحات "**ميل**" وطوّروا فيها لإنشاء فلسفة جديدة.


خاتمة

خـــاتـمـــــــــة:

من خلال ما تمّ عرضه في موضوع "**مفهوم الليبرالية عند جون ستيوارت ميل**"، توصّلت الباحثة إلى مجموعة من النتائج تُلخّص فيما يلي:

– إنّ "**ميل**" قد تأثّر بجلّ الفلسفات السابقة له خاصةً الإنجليزية منها، فنجده تسلّم القبس من يدّ "**بنتام**" **و**"**جيمس ميل**" وحمل الأمانة الكبرى بعدهما، وجعل المبدأ النفعي أساس دعوته إلى الإصلاح الاجتماعي والسياسي، وقد تطوّر هذا المبدأ على يده واتّسعت آفاقه، وكان قصد "**ميل**" من ذلك ابتغاء تحقيق السعادة للناس، كما امتدت ثقافته إلى الفلاسفة اليونانيين القدامى السفسطائيين وأبيقور، فلا بدّ من الرجوع إلى فلسفة اليونان لفهم المنطلقات الفلسفية لـ "**ميل**" التي كانت نظرته حولها رغم النقد الذي وجّهه لها.

– لقد بحث "**ميل**" في عدة مشكلات فلسفية بارزة في تاريخ الفلسفة، كالمنفعة والحرية والمرأة والمنطق، فهو لم يترك قضية إلاّ وناقشها، حيث إعتمد في ذلك إلى الرّجوع إلى فلسفات سابقة، وهذا ما أدّى إلى تشكّل مضامين فلسفية تميّز فكره.

– من خلال المفاهيم المقدّمة لليبرالية، يتّضح للناظر طبيعة التصوّر الغربي لليبرالية وينكشف له المسار الذي تسير عليه، فالأساس الذي قامت عليه نظريات الفكر الغربي هو أساس بشري محض، أمّا الحدود التي تقف عندها الحرية فهي قائمة على الثورة وعلى التضييق الذي كانت تمارسه الكنيسة ورجالها، فبات مفهوم الحرية في العقل الغربي يتمحور حول الحقوق التي يستحقّها الإنسان بوصفه إنسانًا فقط.

– تمثّل الحرية عند الليبراليين شعار الكرامة الإنسانية، وتشكّل مقوّمًا أساسيًا من مقوّمات السعادة البشرية، وتعتبر أعلى قيمة أخلاقية وسياسية واقتصادية.

– إنّ أسس الليبرالية (الحرية، الفردية، العقلانية) كلّها مذاهب عزّزت وساعدت في بروز وصياغة المذهب الليبرالي ، وذلك نتيجة لما عاناه الإنسان الغربي من انتهاك لحقوقه وتقييمه، واغتصاب للحرية باسم الدّين والملكية والطبقة الاجتماعية كما كان الأمر متداول في النظام الإقطاعي.

– إنّ الليبرالية في جوهرها تقوم على حرية الإنسان (الفرد)، وتسعى إلى فك كل أنواع القيود عليه سواء كان من الدولة أو النظام أو الجماعة، لهذا جاءت الليبرالية

خـــاتـمـــــــة:

من أجل وضع حد للاستبداد والظلم والطغيان الذي كانت تمارسه السلطات السياسية والاجتماعية آنذاك على الإنسان في فرديته وحريته، فالفرد تصور كبير وهام في الفكر الليبرالي باعتباره جوهر النظرية الليبرالية.

– إنّ المنطلق الليبرالي الذي ركزّ على الطابع الفردي لمفهوم الحرية، لا يزال هو السائد وصاحب الصوت المدوّي خاصة في المجال السياسي المعاصر، وذلك بعد تراجع المنطلق الاشتراكي، وأهم ما يميّز مفهوم الحرية عند الليبراليين هو تأكيدها على النزعة الفردية وإزاحة القيود والمعوقات من أمام الفرد، وهذا ما وجدناه في كتاب "**ميل**" "**عن الحرية**" الذي يعدّ المنبع والمصدر لفكر الليبراليين الغرب والعرب.

– تعدّ الليبرالية عند "**ميل**" قمّة التّقدم السياسي والاجتماعي للمجتمعات الإنسانية، وتعدّ أيضًا المناخ الملائم للوصول إلى الفرد المبدع الذي يستطيع أن يحقّق التقدّم، كما يحاول تحديد الأسس الأخلاقية والسياسية والإقتصادية التي تقوم عليها الليبرالية.

– في التوافق بين المنفعة العامة والمنفعة الفردية، ينبغي أن يراعى فعل الفرد في تحقيق سعادته وحق الآخرين في تحقيق سعادتهم، فالسعادة التي تعني بها المنفعة سعادة كل من يتأثر بالفعل، فالفاعل مطالب أن يراعي الضرر الذي يلحق بالآخرين نتيجة فعله، ولذلك يقدّم "**ميل**" المنفعة العامة على المنفعة الفردية، والمنفعة العامة تعني تحقيق السعادة للمجموع.

– حدّد "**ميل**" معنى العدالة وربطها بالمنفعة وجعل قيام مبادئها على التعاطف الوجداني، وإلزام الفرد أن يسلك سلوكًا لا يتنافى مع الحق العام، متضمّن في ذلك قدرته (الفرد) على إتيان الفعل وفق المصلحة العامة للمجتمع.

– استهدفت فلسفة "**ميل**" تربية أفراد المجتمع وتثقيفهم، حتّى يسلكوا بشكل عادل وليس خوفًا من القانون وإنّما وفقًا للضمير، وذلك لا يكون إلاّ من خلال تربية سليمة ومنظّمات اجتماعية جيّدة، وحرية للأفراد وأن يدرك الفرد إمكانياته وقدراته العليا، حتّى يسعى إلى إشباعها، وبالتالي يحقّق العدالة مع مراعاة الآخرين، ويكون لديه شعور قوى بإمكانية تنازله عن سعادته الفردية مقابل تحقيق السعادة العامة للمجتمع ككل وبالتالي تحقّق العدالة.

خــــاتـمـــــــــة:

- ينطلق "**ميل**" من مبدأ أنّ الفرد هو المحور الأساسي لتطور المجتمع، وتأسيسًا على هذا المبدأ فإنّ أفراد المجتمع لا بدّ أن يشاركوا في كل شؤونه الاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية والسياسية، مع التأكيد على دورهم في تشكيل النظام الأمثل والحكومة وتحديد أهدافها وأعضائها نهاية بتقييمها، وأن يكونوا مقتنعين بها حتّى لا يمثّلوا عقبة في سبيل تحقيق أهدافها، وتتمثّل وظائف الحكومة على اختلاف أشكالها في تحقيق التّقدم والرّقي للمجتمع.

- رأى "**ميل**" أنّ الفرد الليبرالي يسعى إلى سعادته من خلال امتلاكه للقدرة الواعية على الاستغناء عنها إذا تعارضت مع السعادة العامة، هذه هي السّمة الأخلاقية التي لابدّ أن يتّسم بها الفرد الليبرالي، كما أنّ ضرورة التّمسك بحرية الفكر والمناقشة تقوم على أسس منها: إذا أجبر رأي على الصمت فمن الممكن أن يكون صوابًا وإنكار ذلك هو إدّعاء للعصمة وحرمان للبشرية من الاستفادة.

- إنّ التصوّر الليبرالي لـ "**ميل**" يقوم على أنّ الوصول إلى الحرية الفردية يتم من خلال الحرية السياسية التي تتحقّق من خلال تطبيق النظام الديمقراطي شريطة تدخّل الدولة في حال تضرّر الفرد، والوصول إلى الحرية السياسية لا يمكن أن يتحقّق بدون الحرية الاقتصادية التي هي جزء له أهميته في الحرية الكلية أو العامة.

- يركّز "**ميل**" في تعريفه للحرية الفردية على مفهوم الضرر، فالفرد حرّ في أفعاله ما لم يسبّب ألمًا أو أذى أو ضررًا لفرد آخر، وما لم يقصّر في واجباته.

- تكمن خصوصية فلسفة "**ميل**" في وضعها للركيزة التي تحدّد سلطة المجتمع على الفرد، وهذه الركيزة هي نواة الفكر الليبرالي المعاصر.

- لاقت حرية الفكر والمناقشة اهتمامًا بالغًا من قبل "**ميل**" وهي تعتبر مثالاً جليًّا على الحدّ الذي تقف عنده سلطة المجتمع والقانون على الفرد، حيث دافع "**ميل**" عن حرية الفكر والمناقشة بوضعه منافعها ومضار عدم الأخذ بها.

- يرى "**ميل**" أنّ صلاح المجتمع يتأتّى من صلاح الفكر، وصلاح هذا الأخير لا يتمّ إلاّ بفتح باب المناقشة الحرّة، ليتسنّى للمجتمع تصفية الأفكار المطروحة وتبنّي الأصوب منها.

خـــاتـمــــــــة:

– باعتبار أنّ "**ميل**" أحد أبرز منظري الفلسفة النسوية، فإنّه كان مناصرًا كبيرًا لحرية المرأة ومساواتها بالرجل، وخلاصة رأيه في هذا المجال أنّ الكائن البشري لم يعدْ في عصر الليبرالية يولد مقيّدًا بأغلال موقعه الاجتماعي، بل يولد حرًّا ويستخدم ملكاته والفرص المتاحة لتحقيق المصير الذي يفضّله، ومن الممكن منطقيًا أن يحاول أي شخص الوصول إلى أي مركز في المجتمع، فالمرأة لها كامل الحقوق في الإطار الخارجي مثلها مثل الرجل لها الحق في التصويت والترشيح والعمل إلى غير ذلك من الحقوق.

– هذه هي أهم المحطّات التي تناولها "**ميل**" في فكره الليبرالي، ومن خلاله رأت الباحثة أنّه كان عادلاً ومنافحًا لنظرية المنفعة، فبها يُدرك قيمة المذهب في دفاعه عن الحريات والحقوق، ورغم المحاسن والعيوب التي وجّهت له إلاّ أنّ ترك أثرًا بارزًا في معاصريه الغرب والعرب، الذين سلّموا بآرائهم معترفين بتأثّرهم به، وساهمت هذه الآراء في إثراء النظرية الليبرالية بكل مجالاتها.

فهـــرس الأعـــلام

فهـــرس الأعـــلام:

قائمة المصادر والمراجع

أ- *المصـــادر باللغة العربية:*

1. جون ستيوارت ميل: **أسس الليبرالية السياسية**، تر: إمام عبد الفتاح إمام، ميشيل متياس، مكتبة مدبولي، د.ط، 1996، القاهرة.
2. ـــــــــ: **استعباد النساء**، تر: إمام عبد الفتاح إمام، مكتبة مدبولي، ط1، 1998، القاهرة.
3. ـــــــــ: **الحكومات البرلمانية**، تر: إميل الغوري، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، بيروت، 2017.
4. ـــــــــ: **النفعية**، تر: سعاد شاهرلي حرار، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2012.
5. ـــــــــ: **سيرة ذاتية**، تر: الحارث النبهان، دار التنوير، ط1، بيروت، 2015.
6. ـــــــــ: **عن الحرية**، تر: هيثم كامل الزبيدي، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 2007.
7. برتراند راسل: **حكمة الغرب(الجزء الثاني) الفلسفة الحديثة والمعاصرة**، تر: فؤاد زكريا، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، (د.ط)، الكويت، 1983.
8. جون راولز: **العدالة كإنصاف**، تر: حيدر حاج إسماعيل، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت، 2009.
9. جون رولز: **نظرية في العدالة**، تر: ليلى الطويل، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2011.
10. جون لوك: **الحكومة المدنية**، تر: محمود شوقي الكيال، الدار القومية للنشر والطباعة، مصر، د.ت.
11. عبد الله العروي: **مفهوم الحرية**، المركز الثقافي العربي، ط5، بيروت، 2012.
12. علي الوردي: **مهزلة العقل البشري**، دار كوفان، ط2، بيروت، 1994.
13. كارل بوبر: **درس القرن العشرين**، تر: الزواوي بغورة، لخضر مذبوح، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، بيروت، 2008.

14. كارل بوبر: **مائة عام من التنوير**، تر: عادل مصطفى، مؤسسة هنداوي سي آي سي، د.ط، 2017.

15. لطفي السيّد: **مبادئ في السياسة والأدب والاجتماع**، درا الهلال، القاهرة، 1963.

16. ناصيف نصّار: **باب الحرية**، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 2003.

ب-المصــــــادر باللغـــات الأجنبيـــــة:

1. ***اللغة الإنجليزية:***

1. Bentham Jeremy, **An Introduction to The Principale of Morals and Legislation**, Batoche Books, Kitcener, 2000.

2. Mill John Stuart, **L'Utilitarisme**, Trad Philippe Folliot, Université de Québec, Canada, 4ed, 2008.

2. ***اللغة الفرنسية:***

3. Feyerabend : **Adieu la Raison**, tra : Baudouin Jurdant, Ed seuil, Paris,1989.

ج- الـمــــراجـع باللغــــة العربيـــــة:

1. أحمد أمين، زكي نجيب محمود: **قصة الفلسفة اليونانية**، مطبعة دار الكتب المصرية، ط2، القاهرة، 1935.

2. اميل برهييه: **تاريخ الفلسفة (الفلسفة الحديثة 1850-1945)**، تر: جورج طرابيشي، ج7، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 1987.

3. أنطوني دي كرسبني، كينيث مينوج: **أعلام الفلسفة السياسة المعاصرة**، تر: نصّار عبد الله، منشورات الهيئة العامة المصرية للكتاب، مصر، 1996.

4. إيزايا برلين : **الحرية: خمس مقالات عن الحرية**، تر: يزن الحاج، دار التنوير للطباعة والنشر، ط1، القاهرة، 2015.

5. توفيق الطويل: **جون ستيوارت مل**، دار المعارف، د.ط، مصر، 1998.

6. توفيق الطويل: **<u>مذهب المنفعة العامة في فلسفة الأخلاق</u>**، مكتبة النهضة المصرية، ط1، القاهرة، 1953.

7. جورج زيناتي: **<u>رحلات داخل الفلسفة الغربية</u>**، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1993

8. حسين فوزي النّجار: **<u>أحمد لطفي السيد (أستاذ الجيل)</u>**، الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ط، 1999، مصر.

9. ديفيد ج. كوج: **<u>السفسطائية وأثرها على ما بعد الحداثة</u>**، حروف منثورة للنشر الإلكتروني، د.ط، 2014.

10. زكرياء ابراهيم: **<u>المشكلة الخلقية</u>**، مكتبة مصر، (د.ط)، القاهرة، (د.ت).

11. سوزان موللر أوكين: **<u>النساء في الفكر السياسي الغربي</u>**، تر: إمام عبد الفتّاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، القاهرة، 2002.

12. ضحى عبد الغفار المغازي: **<u>دورة حياة مشروع الشرق الأوسط الكبير تجربة أنثروبولوجية إعلامية مصرية</u>**، ج1، أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي، ط1، مصر،2018.

13. الطيّب بوعزة: **<u>نقد الليبرالية</u>**، دار المعارف الحكمية، ط1، لبنان، 2007.

14. عبد الرحمان بدوي: **<u>الأخلاق النظرية</u>**، وكالة المطبوعات، ط2، الكويت، 1975.

15. عبد الرحيم بن صمايل السلمي: **<u>حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها</u>**، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ط1، المملكة العربية السعودية، 2009.

16. عبد الرضا حسين الطعان: **<u>مدخل إلى الفكر السياسي الغربي الحديث والمعاصر</u>**، ج2، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، د.ت.

17. عبد العزيز بن مرزوق الطريفي: **<u>العقلية الليبرالية(في رصف العقل ووصف النقل)</u>**، دار الحجاز للنشر والتوزيع، ط1، الاسكندرية، 2011.

18. عبد العزيز بن مصطفى كامل: **معركة الثوابت بين الإسلام والليبرالية**، دار الكتب، د.ط، القاهرة، 1996.

19. عبد الله محمد الغذّامي: **الليبرالية الجديدة (أسئلة في الحريّة والتفاوضية الثقافية)**، المركز الثقافي العربي، ط1، المغرب، 2013.

20. غُناز سكيربك، نِلز غيلجي: تاريخ **الفكر الغربي من اليونان القديمة إلى القرن العشرين**، تر: حيدر حاج اسماعيل، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت، 2012.

21. فريال حسن خليفة: **تصورات الحرية في تاريخ الفلسفة**، دار الفكر العربي، ط1، القاهرة، 2016.

22. فريدريك كوبلستون: **تاريخ الفلسفة (مج 8، من بنتام إلى راسل)**، تر: محمود سيد أحمد، المركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة، 2009.

23. فريدريك كوبلستون: **تاريخ الفلسفة**، تر: إمام عبد الفتاح إمام، المجلد الأول(اليونان وروما)، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، القاهرة، 2002.

24. كليمانز ريكر: **الليبرالية في تاريخ الفكر العربي**، مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية، ط1، القاهرة، 2010.

25. محمد عابد الجابري: **مدخل إلى فلسفة العلوم**، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 1976.

26. محمود فهمي زيدان: **الإستقراء والمنهج العلمي**، دار الجامعات المصرية، د.ط، الإسكندرية، 1977.

27. مصطفى النشار: **تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي المدارس الفلسفية اليونانية في العصر الهلينستي**، الدار المصرية اللبنانية، ط1، القاهرة، 2013.

28. ولتر ستيس: **تاريخ الفلسفة اليونانية**، تر: مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة للنشر والتوزيع، د.ط، القاهرة، 1984.

29. وندي دونر، ريتشارد فمرتون: **جون ستيوارت ميل**، تر: نجيب الحصادي، المركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة، 2011.

30. ويليام ليلى: **مقدمة في علم الأخلاق**، تر: علي عبد المعطي محمد، منشأة المعارف، الاسكندرية، 2000.

31. ويليم كلي رايت: **تاريخ الفلسفة الحديثة**، تر: محمود سيد أحمد، التنوير للطباعة، ط1، 2010.

32. يمنى طريف الخولي: **فلسفة العلم في القرن العشرين(الأصول، الحصاد، الآفاق المستقبلية)**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، د.ط، القاهرة، 2014.

33. يوسف كرم: **تاريخ الفلسفة الحديثة**، كلمات عربية للترجمة والنشر، د.ط، القاهرة، 2012.

د- المـــراجــــع باللغـــات الأجنبيـــــة:

1. اللغة الإنجليزية:

1. Alan Ryan, **J.S.Mill**, Routledge and Kegan Panl, London, 1974.

2. Ian Adams and R.W.Dyson: **Fifty Major Political Thinkers**, 2nd ed , London: Routledge Tylor and Francis-Libra, 2007.

هـ- المعاجم والموسوعات

1. أندريه لالاند: **موسوعة لالاند الفلسفية**، تر: خليل أحمد خليل، مج 1، منشورات عويدات، ط2، بيروت، 2001.

2. جميل صليبا : **المعجم الفلسفي**، الجزء الأول، دار الكتاب اللبناني، ط1، بيروت، 1982.

3. جورج طرابيشي: **معجم الفلاسفة**، دار الطليعة، ط3، بيروت، 2006.

4. جوناثان ري، وج.أو.أرمسون: **الموسوعة الفلسفية المختصرة**، تر: فؤاد كامل وآخرون، المركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة، 2013.

5. رحيم أبو رغيف الموسوي: **الدليل الفلسفي الشامل**، ج3.، دار المحجة البيضاء، ط1، بيروت، 2015.

6. عبد الرحمان بدوي: **موسوعة الفلسفة**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ج1، ط1، الكويت، 1984.

7. مجموعة من الأكاديميين العرب: **موسوعة الفلسفة العربية المعاصرة**، دار الأمان، ط1، الرباط، 2014.

8. محمد سبيلا، نوح الهرموزي: **موسوعة المفاهيم الأساسية في العلوم الانسانية والفلسفة**، منشورات المتوسط، ط1، بغداد، 2017.

9. معن زيادة: **الموسوعة الفلسفية العربية**، مج 2، معهد الإنماء العربي، ط1، د.ب، 1988.

و- المجـــــلات والدوريــــــات:

1. طلال حامد خليل: **المرتكزات الفكرية لليبرالية دراسة نقدية**، دفاتر السياسة والقانون، العدد 15، جوان 2016، جامعة ديالى، العراق.

2. مجدي علي محمد غيث: **نظرية هكشر أولين في التجارة الخارجية في ضوء الفكر الاقتصادي الاسلامي**، مجلة دراسات في علوم الشريعة والقانون، من إصدارات الجامعة الأردنية، الأردن، المجلد 41، ملحق 2، 2014.

3. مهند علي نعمة ابراهيم: **الحرية عند أحمد لطفي السيّد**، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، العدد 35، أكتوبر 2017.

4. نادية جاسم كاظم الشّمري: **الديمقراطية والليبرالية والعلمانية في الفكر الغربي**، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، المجلد6، العدد4، إصدار خاص بالمؤتمر الوطني للعلوم والآداب، 2016.

ز- الرسائـــــل الجامعيــــــة:

1. بوصالحيح حمدان: **العقلانية العلمية المعاصرة وانتقاداتها "بول فيرابند" نموذجا**، رسالة دكتوراه العلوم في الفلسفة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، 2014.

2. شادلي هواري : **فلسفة اللامعقول عند فيرابند**، رسالة دكتوراه العلوم في الفلسفة، كلية العلوم الاجتماعية، جامهة وهران، 2018/2017.

3. محمد الطاهر عديلة: **تطور الحقل النظري للعلاقات الدولية**، رسالة دكتوراه في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، كلية الحقوق والعلوم السياسية، قسم العلوم السياسية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2014.

ح- المواقـــع الإلكترونيـــة:

1. ابراهيم العريس: **مبادئ الاقتصاد السياسي لستيوارت ميل: يوم تنضب الثروات**، الحياة، 2016/4/13، في https:// googl/qCWgFj
2. أمين حمزاوي: **الجذور الليبرالية للفلسفة النسوية**، 19 ديسمبر 2019، الجمهورية، متاح على الرابط: https://www.aljumhuriya.net/ar/content
3. بابلو سيمون: **الديمقراطية عند جون ستيوارت ميل**، تر: مصطفى أبو شمس، ياسين السويحة، الجمهورية، 2014/07/08، متاح على الرابط: https://www.aljumhuriya.net/ar/29588
4. زكريا محمد علي: **إيديولوجيا الحركات النسوية**، 2014/09/14، 15:22، متاح على الرابط: https://www.sasapost.com/opinion/ideological-feminism/
5. كاترين أودارد: **الليبرالية "الجديدة" (1-4)...التطور التاريخي لليبرالية الكلاسيكية**، تر: ميشال أ.سماحة، 2013/07/03، متاح على الرابط: **https://www.lebanese-forces.com**
6. ليندا إم.جي.زيريللي: **النقد النسوي لليبرالية**، تر: سنية نمر ياسين، مجلة حكمة، 2017/04/23، متاح على الرابط: https://hekmah.org/
7. محمد محمد: **جون ستيوارت ميل**، 2017/09/08، متاح على الرابط: https://geiroon.net/

ملخص الدراسة

ملخص الدراسة:

جاءت هذه الدراسة الموسومة بعنوان "**مفهوم الليبرالية عند جون ستيوارت ميل**"، لتكشف عن الأسس التي قامت عليها ليبرالية "**ميل**" وتجلّياتها في المجالات الأخلاقية والإقتصادية والسياسية والإجتماعية، مع بيان التأثير الذي أحرزته ليبراليته في الفكرين الغربي والعربي، حيث قدّم "**ميل**" رؤيته الخاصة حول الليبرالية وأسسها التي عبّر عنها من خلال أفكاره التي أوردها في أعماله الشهيرة خاصة كتابه "**أسس الليبرالية السياسية**" و"**عن الحرية**"، إضافة إلى "**النفعية**"، هذه الأفكار تمحورت حول الأسس والدّعائم لقيام الليبرالية، فكان في طرحه السياسي متميّزًا خاصة في جعله "للحرية" القاعدة الأساسية للفرد، ولقد كانت نظريته هذه عُصارةً للظروف التي سادت عصره من جهة، ومن جهة أخرى كانت نتيجة لإطّلاعه وتأثّره بالفلسفات السابقة عنه، وعلى الرغم من المآخذ والعيوب التي تُتّهم بها ليبرالية "**ميل**" فإنّها تبقى لها من المزايا مالا يعدّ ولا يحصى كونها ساهمت في تطور فكرة الحرية وأعادت للفرد هيبته وثمّنت وجوده.

الكلمات المفتاحية:

الليبرالية، الحرية، الديمقراطية، الفردية، العقلانية، المنفعة، الأخلاق، العدالة.

Résumé de Recherche :

L’étude intitulée « **Le concept de Libéralisme quand John Stuart Mill** », révéle les fondements du Libéralisme **« Mill »** et ses conuntions dans les domaines éthique, économique et politique, avec l’influence de son Libéralisme dans la pensée occidentale et arabe.

« **Mill** » a présenté sa propre vision du libéralisme et de ses fondements, il a ses propres idées dans ses œuvres célèbres, en particulier son livre « **Les Fondements du Libéralisme Politique** » et « **Sur la Liberté** », en plus de «**L’utilité** », ces idées centrées sur les fondements et les piliers du libéralisme, Et dans son discours politique, il s’est particuliérement distingué en faisant de la « Liberté » la règle base de l’individu, Sa théorie était un jubilé des circonstances de son époque, d’une part, à la suite de ses philosophies antérieures examen de celui-ci, Malgré les débouchés et les défauts qui sont accusés par un "**Mill**" libéral il a une myriade d’avantages à elle contribué au développement d’une idée de Liberté, rétablit le prestige de l’individu et assura son existence.

Les Mots Clés :

Liberalisme, Liberté, Démocratie, Individualisme, Rationalisme, Utilitarisme, Éthique, Justice.

Research Summary:

The study, titled " **The Liberal concept of John Stuart Mill** ", reveals the foundations of the "Mill" liberalism and its conuntions in the ethical, economic, and political fields, with the influence of its liberalism in Western and Arab thought, "Mill" presented his own vision of liberalism and its foundations that passed it is through his ideas in his famous works, especially his book "**Foundations of Political Liberalism**" and "**On Liberty**", in addition to "**Utility**", These ideas centered on foundations and pillars of liberalism, and in his political discourse he was particularly distinguished in making it the "freedom" the fundamental base of the individual, His theory was a bygone era of the conditions of his era, on the one hand, and on the other, as a result of his prior philosophies' influence over him, despite the outlets and defects that are accused by a liberal "**Mill**" it has myriad advantages to it contributed to the development of an idea freedom restored prestige and a reexistence of the individual.

Keywords :

Liberalism, Liberty, Democracy, Individualism, Rationalism, Utilitarianism, Ethics, Justice.